

الجزء الخامس السنة الثانية

الاسكندرية اغسطس (آب) سنة ١٩٠٠ — ربيع الثاني سنة ١٣١٨

جلالة السلطان

﴿ عبد الحميد خان الثاني ﴾

بوبيل جلالته الفضي اي الاحتفال بانقضاء ٢٥ عاماً
على ارتقائه عرش السلطنة

لاتنقضي بضعة ايام على صدور هذا الجزء حتى تقوم الاعياد في عاصمة السلطنة العثمانية وملحقاتها احتفالاً بيوبيل جلالة السلطان الفضي لانقضاء ٢٥ سنة على ارتقائه عرش السلطنة . فوجب علينا ان نفتتح هذا الجزء بذكر هذا العيد العظيم اشتراكاً مع المعيدين

وقبل ان نرفع الى جلالة مولانا السلطان تهنئتنا الخالصة بيوبيله الكريم نلتمس الاذن للجامعة بنقل الترجمة التي وجدناها في الجزء الاول من " دائرة المعارف الفرنسوية الكبرى " تحت امضاء العالم ل . فير . وهذه ترجمتها بالحرف الواحد

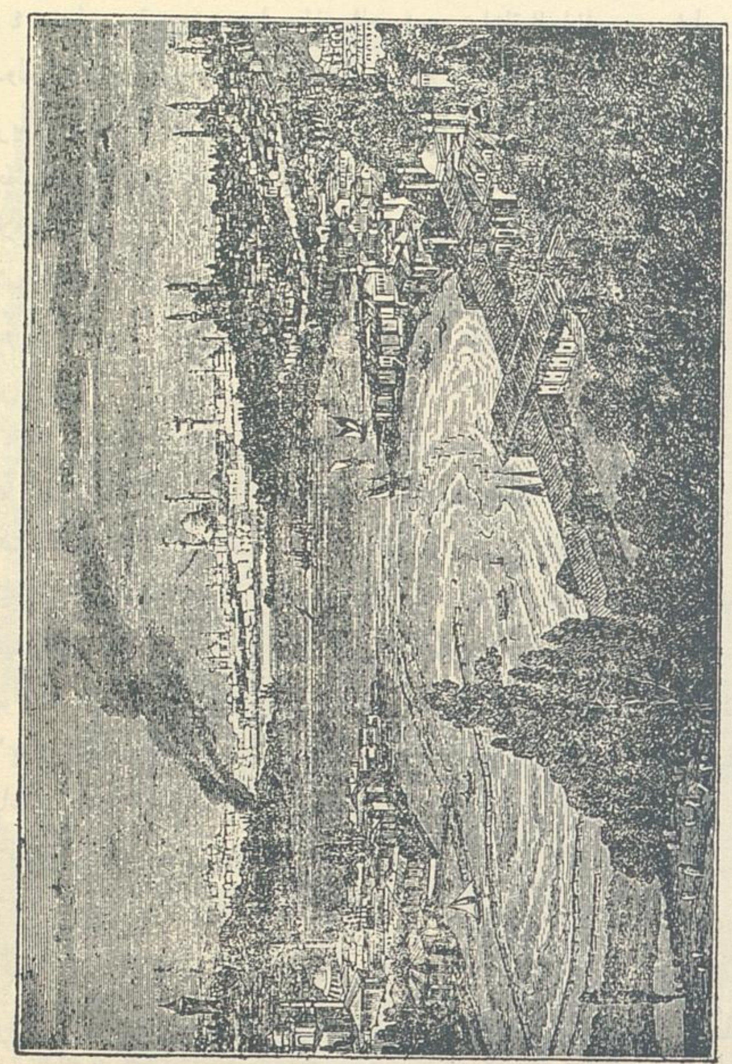
﴿ جلالة السلطان ﴾ هو السلطان الخامس والثلاثون من سلاطين آل عثمان ولد من السلطان عبد المجيد خان في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٢ . وخلف اخاه السلطان مراداً في ٣١ اغسطس سنة ١٨٧٦ . ولما ارتقى الى العرش العثماني كانت المسألة الشرقية مفتوحة فان سربيا والجبل الاسود آذنتا الدولة العلية بالحرب في ٣ يوليو ثم ازداد الخلاف لرفض

الباب العالي الرضى باقتراحات الدول فآذنت روسيا تركيا بالحرب ايضاً في ١٢ افريل سنة ١٨٧٧ . فاظهر جنود الدولة في هذه الحرب من البسالة والصبر على المكاره واظهر قوادها نظير عثمان باشا وسليمان باشا من الدراية والمهارة في القيادة ما اوقف سير الجنود الروسية وقتاً طويلاً واصابها بخسائر عظيمة ولا سيما في بلافنا . ولكن هذه الحرب انتهت بمعاهدة سان ستفانو (٣ مارس سنة ١٨٧٨) ثم صُححت هذه المعاهدة في مؤتمر برلين (١٣ يونيو و١٣ يوليو) فحرمت روسيا بعض الفوائد التي كانت لها في معاهدة سان ستفانو ومع ذلك فقد بقيت معاهدة برلين شديدة على الدولة لانها قضت باعطاء النمسا البوسنه والهرسك . ثم اخذت انكلترا قبرص مقابلة وعدها بمدافعة روسيا حين الحاجة وذلك في معاهدة ٤ يونيو سنة ١٨٧٨ . فمما مرَّ يتضح ان بداية حكم جلالته كانت صعبة جداً ولكن لا خلاف في ان جلالته غير مسئول عما حدث يومئذٍ اذ كان لا بد لذلك ان يحدث لانه نتيجة السياسة السابقة

وبعد هذه الحرب المشومة رأى جلالته ان السكوت والهدوء خير الامور لان حرباً كهذه الحرب قد احدثت تعطيلاً عظيماً في مصالح الدولة الاجتماعية والاقتصادية فصرف همه الى مجاملة الدول في الخارج واظهر في الداخل رغبته في استبدال اسراف سلفائه بالاقتصاد وادخال اصلاحات مهمة الى الدولة . ولما قبض على زمام السلطنة ابقى حزب تركيا الفتاة في مناصبهم وادار هذا الزمام بقوة دلت على مضاء عزمه وقوة ارادته فانقص نفقات البلاط وقضى بان تُنفذ الارادات التي يُصدرها بكل دقة معنىً ومبنى . واخذ يزور بنفسه الثكنات العسكرية ويلاطف الضباط والجنود ويتناول الطعام معهم وذلك مما لم يُرَ في تركيا قبله . ثم شرع في ادخال الاصلاح الى شؤون الدولة الادارية فالف لجنة عامة للاصلاح اعضاؤها ٣٠ من المسلمين و٣٠ من المسيحيين . ونودي في ٢٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ بمنح الامة الدستور الاساسي

اما هذا الدستور فمقتضاه سلامة السلطنة وعدم مسئولية جلالة السلطان ومساواة جميع رعية الدولة لدى القانون وقبول الرعية المسيحيين في مناصب الدولة ووظائفها وحرية التعليم وحفظ الحرية الشخصية وحرمة المنازل واستقلال المحاكم وحسن تنظيم الولايات وتنظيم ميزانية الدولة وموازنتها

وكان من مقتضى هذا الدستور انشاء مجلس نيابي للاعيان يكون بمثابة مجلس الشيوخ في اوربا وانما لا يُنتخب اعضاؤه انتخاباً ولكن جلالة السلطان يعينهم لهذه العضوية طول



﴿ الاستانة ﴾

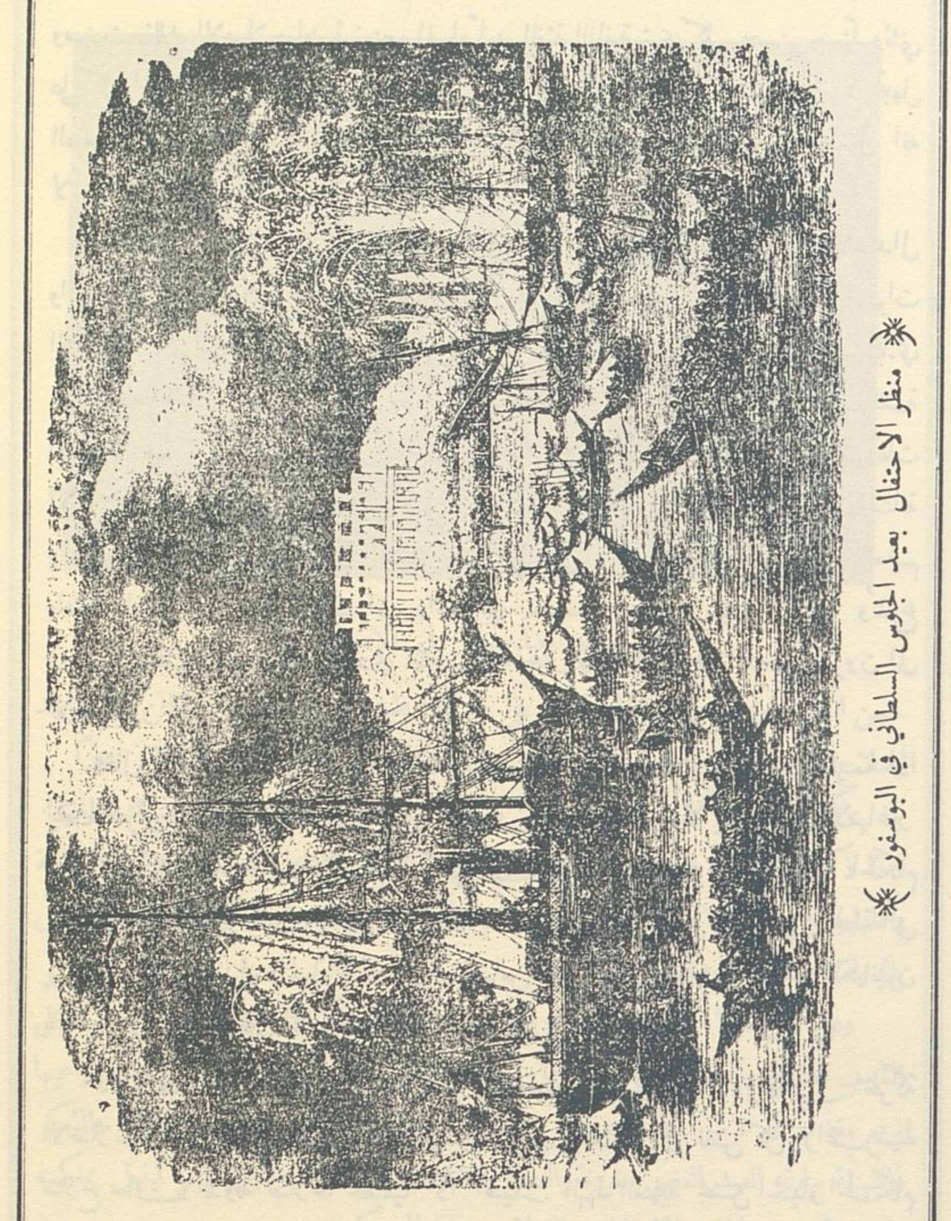
حياتهم وانشاء مجلس نواب (مجلس مبعوثان) ينتخب الاهالي اعضاءه الى مدة ٤ سنوات باعتبار ان كل ٥٠ الف عثماني ينتخبون عضواً . وكان من وظيفة الوزراء ان يقدموا الى هذين المجلسين القوانين والنظامات التي يريدون سنها ليوافقا عليها او يرفضاها وكانوا مسئولين لديها وتحت مراقبتها وللجلالة السلطان الحق في اطالة اجل المجلسين او صرفهما

وكان مدحت باشا الصدر الاعظم في ذلك الزمان . فما لبث ان غضب عليه جلالة السلطان بعد انقضاء اقل من شهرين على وزارته فنفي من الاستانة وصُرفت لجنة الاصلاح

في ١٤ فبراير سنة ١٨٧٨ ومجلس المبعوثان وقبض جلالة السلطان عبد الحميد على سياسة الدولة كلها . فجاءت هذه السياسة بنتائج حسنة لانه استطاع بها تنفيذ كل معاهدة برلين تقريباً واجتناب الاخطار التي كانت تتهدد الدولة . ثم اخذ في تنظيم مالية الدولة وادارتها وجيشها مستنداً في ذلك الى المانيا . وقد تحررت ولايات الروملي الشرقية دون ان يتداخل جلالته ولكنه لم يتنازل عن حق من حقوقه في كريت وارمينيا . ويُستدل من زيارة الامبراطور غيليوم للاستانة في سنة ١٨٨٩ (المرة الاولى) ان تركيا تحفظ مقامها بين الدول العظمى) . انتهى بنصه حرفياً ومنه يستدل القارئ ان هذا الفصل قد كتب منذ زمن بعيد

﴿ شهادة سياسي ﴾ ويجدر بنا بعد نقلنا هذا الفصل ان ننقل شهادة سياسي وهو المرحوم غبريل شارم الذي ساح في بلاد الدولة العثمانيه سياحة طويلة وزار الاستانة فكتب في احد كتبه يصف جلالة السلطان بما خلاصته (لا يحدث شيء في بلاد الدولة العثمانية ولا تخرج ورقة من ايدي حكامها الا بعد علم جلالة السلطان واطلاعه عليها وفحصها فحصاً دقيقاً مع ان تلك الاوراق تُعد بالالوف وعشرات الالوف . وقد كانت شهوات اسلافه السلاطين مختلفة . اما شهوة جلالة السلطان فانها العمل والشغل الدائم ولا يفكر في ما سوى ذلك . وهو يشتغل في غرفة شغله الى ما بعد منتصف الليل بساعة وساعتين واحياناً بثلاث فيبقى النور موقداً في قصر يلدز في حين ان جميع انوار الاستانة قد اطفأت وتكون عين جلالة السلطان آخر عين تنام في الاستانة . وهو لشغفه بالشغل يلذ له استقبال السفراء وكبار الزوار في قاعة على موائدها الخارطات والاوراق ومواد شغله فيكون لقاعة الاستقبال منظر جميل

﴿ شهادة عالم ﴾ وتشرف العالم الرحالة فمبيري النمساوي الذي استدعاه في هذا العام جلالة السلطان الى الاستانة للبحث في انشاء كلية علمية فيها بمقابلة جلالته في يوم من الايام ثم كتب مقالة طويلة عن هذه المقابلة فقال فيها انه رأى من لطف جلالة السلطان واتضاعه وعظمته وسعة معارفه ما لم يكن يعلم منه شيئاً . ونقل ان جلالة السلطان قال له ان اوربا تحسب الاصلاح في بلادنا امراً هيناً كما هو في بلادها ولكنها تجهل ان الارض العثمانية ارض قديمة يجب اولاً نزع ما فيها من الحجارة والاشواك ليتسنى لنا بعد ذلك الشروع بحراثتها وزرعها . وان جلالته صارف همه الى ذلك اسعاداً لمملكته ورعيته



﴿ منظر الاحتفال بعيد الجلوس السلطاني في البوسفور ﴾

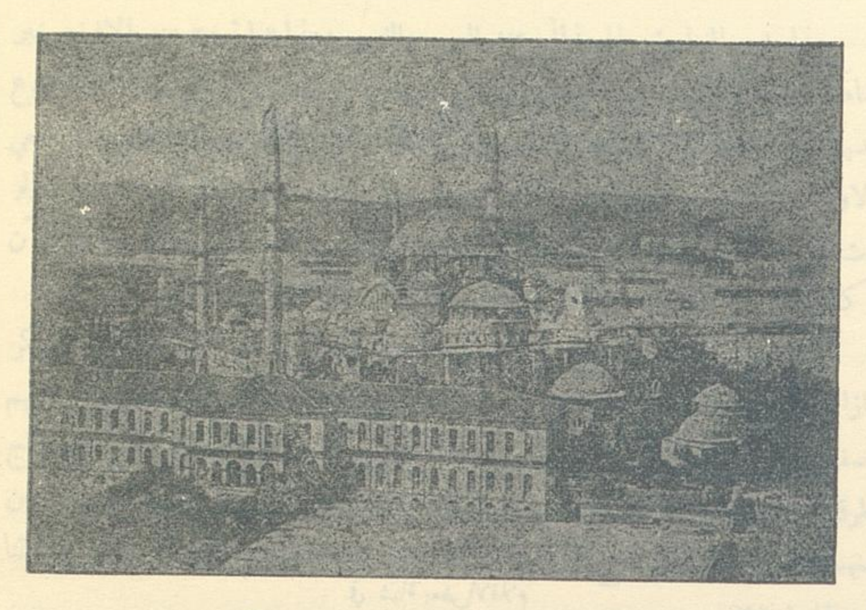
﴿ الاصلاح ﴾ على ان هذا الكلام يسوقنا الى موضوع الاصلاح في بلاد الدولة العلية · وقبل ان نقول كلمة في هذا الموضوع لا نجد بدًّا من الاشارة الى ثلاث فئات من الناس يهتمون بالاصلاح · الفئة الاولى تنادي الاصلاح الاصلاح ولا تقصد بذلك الا معاكسة الحكومة العثمانية بدليل انها اذا اتت اصلاحاً مفيداً ازدادت تلك الفئة صياحاً

وصغرت ذلك الاصلاح ان لم تعتبره افساداً · الفئة الثانية ترى كل حسن حسناً وتثني على كل اصلاح تاتيه الحكومة العثمانية وان كان صغيراً لانها تعلم ان الطفرة محال ولا تجهل الصعوبات التي تعترض عادةً كل تغيير · والفئة الثالثة تُكبر كل شيء وتقول انه لا ينقصنا شيء

ونحن من الفئة الثانية اي من الفئة الوسطى التي يقضي عليها العقل والمصلحة العامة بالاعتدال والروية · لذلك لم نالُ جهداً في اظهار سرورنا من كل اصلاح اتته الحكومة في السنوات الاخيرة · وقد كنا منذ يومين في مجلس دار فيه الكلام على اليوبيل الفضي العظيم الذي تستعد له الاستانة والولايات العثمانية فقلنا ان هذا العيد جاء في اجمل اوقاته فان الثقة المالية بالدولة اليوم حسنة وجميع الدول راغبات في مصافاتها والتودد اليها والمشروعات الاصلاحية تتوالى فقد نُظم الجيش سياج الدولة واقيمت معامل تصنع السلاح في الاستانة واعتني باصلاح الاسطول اعتناء يذكر فيشكر وانصرفت العناية الى التعليم وانشاء المدارس بعض الانصراف واخذ في تنشيط الزراعة واحياء الصناعة وشُرع في مد السكك الحديدية في وادي الفرات والحجاز وغيرها وبالجملة فنحن سائرون الى الامام باذن الله

فقال احد الحاضرين نعم وكل هذه شؤون اصلاحية سيكون لها نتائج عظيمة اذا ثبتت العزائم فيها ولكن عامة الناس بل كثيرين من خاصتهم لا يدرون بها لانها غير مباشرة لهم كل المباشرة · والمباشر لهم حكامهم في الولايات ومحاكمهم · فاذا بقي هولاء الحكام يُختارون للحكومة وكثيرون منهم غير اكفاء لها وبقيت المحاكم غير جارية على الخطة التي يريدها لها محبو العدل والمساواة اللذين هما اساس كل حكم وكل ملك فقلما يشعر العثمانيون بالاصلاح بل قلما يكون الاصلاح اصلاحاً حقيقياً

فنحن ننقل اليوم هذه الملاحظة لاننا راينا فيها صواباً وسداداً · ونرى ان الحركة الاصلاحية الاخيرة التي دوى صداها في جو الفرات والحجاز وفي نفس كل راغب في صلاح حال الدولة صلاحاً حقيقياً اذا اضيفت اليها العناية بحسن اختيار الحكام ليحسنوا تمثيل جلالة مولانا السلطان لدى رعيته في الولايات فيقربوا النفوس من الدولة بدل ان يبعدوها عنها مع قطع الفساد من المحاكم العثمانية وهو الفساد الذي يفسد كل صلاح واصلاح وينشئ في نفوس المتقاضين والمتعاملين وهم مجموع الامة سخطاً لا يجهله احد — خطونا خطوة عظيمة في سبيل النجاح والفلاح باذن الله · واما اذا بقي هذان الامران — وهما



جامع اجيا صوفيا في الاستانة

حسن اختيار الحكام وتطهير المحاكم — على ما كانا عليه فان الاصلاح — اذا كان يوجد اصلاح بدونهما — لا يسير الا اعرج على قدم واحدة — هذا اذا استطاع سيراً

ولكن ليس هذا الموقف موقف بحث بل موقف تهنئة وتبريك بيوبيل الحضرة السلطانية . واذا ذكرنا ذلك فيه فانما نذكره لتبيان التبعة العظيمة التي على حكام الولايات العثمانية واظهار انه يكفي قيام كل واحد من اولئك الحكام بواجبات وظيفته قياماً حقيقياً للنهوض بالدولة النهضة المطلوبة

وعلى امل هذا الاختيار المزدوج — اختيار الحكام للحكومة والقضاة للمحاكم — ليدخل الشعب العثماني والامة العثمانية في دور جديد وقياماً بالواجب المفروض على الرعية لراعيها نرفع مقدماً الى عرش جلالة مولانا وسيدنا السلطان الاعظم عواطف الولاء والشكر والتهنئة ببلوغه العيد الفضي مقرونة بالدعاء لجلالته بدوام الهناء وطول العمر لينيل مملكته وامته ما يريده لها من الاصلاح والصلاح بمنه تعالى وكرمه

راجع وصف الاستانة القديمة وجامع آجيا صوفيا في مقالة لابن بطوطة منشورة في الجزء الثالث عشر من السنة الاولى · وقد زار هذا الرحالة الاستانة في سنة ١٣٣٤ للميلاد

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

بلغاء كتاب العرب

بديع الزمان الهمذاني * ابو بكر الخوارزمي

الدرس الانسيكلوبيذي . الهمذاني عندنا ولينره عند الافرنج . صفة همذان وتاريخها . اربعة مدن تُدعى اكبتانا . اربعة مدن لم يدرسها الزمان . ترجمة الهمذاني . تفصيل المناظرة الكبيرة بينه و بين ابي بكر الخوارزمي . شدة وطأة الهمذاني على خصمه . موته الغريب المشتبه . الخلاصة . السام والبرسام

في شباة بعض الاقلام

اذا نظرنا الى بعض اكابر كتاب الفرس والعرب المتقدمين لا يسعنا الا ان نُعجب بمواهبهم ونأسف للطرق التي صرفوها فيها . ونقول حين مطالعة تراجمهم او كتاباتها انهم لو درسوا الدرس « الانسيكلو بيذي » اللازم فلا يبعد انهم كانوا غيروا وجه الشرق بقوة مواهبهم واستعدادهم

ونعني بالدرس « الانسيكلوبيذي » الطريقة التي يتبعها الافرنج اليوم في مدارسهم فانهم يعرضون في المدارس على التلامذة في خلال الدروس الكثيرة التي يتلقونها جميع فروع العلوم واصولها حتى ترى عقول الطلبة العلم الذي هي مستعدة له ومؤهلة لاقتباسه فتنصرف اليه . لانه من الثابت الذي قد اصبح في حكم الاولية ان في كل عقل استعداداً خاصاً وميلاً خاصاً اذا صُرفا في غير وجهيهما لم يستفد المتعلم ولم يفد شيئاً مذكوراً

وليس يحتمل ان اولئك النوابغ الذين امتازوا بقوة الحفظ الى حد غريب و بلغوا من سرعة البداهة وجودة الروية ومضاء الذهن مبلغاً يدهش العقول — ليس يحتمل ان تكون مواهبهم قد قُصرت على حفظ مفردات اللغة وقواعدها لتركيب عبارات فصيحة بليغة فقط . وانما قلة وسائل العلم الاجتماعي حينئذٍ اي العلم النافع لصلاح حال الاجتماع وترقية شؤون الامم هي التي دفنت مواهبهم الخارقة في ارض قاحلة فلم تثمر الثمر النافع الذي كان يُنتظر منها

هذا بديع الزمان الهمذاني عند العرب والفرس وهذا « ليتره » عند الافرنج خير شاهد على ما نقول · فان ليتره لم يكن امضى من البديع ذهناً ولا اقوى حفظاً ولا اسرع بديهة ولا اشد ذكاء · وانما ما تم لليتره من وسائل التعلم والتعليم لم يتم للبديع فاثمر سعي الاول حتى اصبح فيلسوفاً ولغوياً عظيماً وحبط مسعى الثاني فلم يكن الا كاتباً بليغاً · ولو تمت للبديع الوسائل التي تمت لليتره لكان مقامه الآن من اللغة العربية اسمى مما هو الآن كثيراً بل ربما كان عندنا اعظم من ليتره عندهم

ولا نعني بذلك انه لم ينبغ من العرب فلاسفة نظير ليتره فان ليتره ما كان ليذكر بازاء ابن سينا وابن رشد والغزالي وغيرهم من اكابر علماء العرب الذين نبغوا ولم يكن لديهم نصف الوسائل التي كانت لنوابغ الغرب · وانما نعني بذلك ان قلة وسائل العلم واعوجاج طرق التعلم والتعليم قد قتلا مواهب عربية كثيرة واضعفا عقولاً كبيرة من عقول المتعلمين منهم · وقد خصصنا منهم بديع الزمان الهمذاني لان ذلك كان كثير الظهور فيه ولرغبتنا في نقل ترجمته

ولكن قبل الشروع في ترجمة البديع يجدر بنا ان نقول كلمة عن وطنه همذان

❋ وطنه همذان ❋ همذان ثالثة مدن الفرس في هذه الايام · وهي من اشهر مدن العالم في التاريخ واسمها الاصلي « اكبتانا » بناها الملك ديجوسيس اول ملوك السلالة المادية ودعاها « هكمتانا » فاصبحت بعد ذلك عاصمة مملكة الفرس · وهي احدى المدن الاربعة القديمة التي لم يدرسها الزمان ولم تذهب باهميتها وعارتها القرون الطوال ونعني بها ازمير واورشليم ودمشق الشام وهمذان

ويقول المؤرخون بوجود اربع مدن كانت تُدعى « اكبتانا » الاولى همذان التي نحن في صددها الآن · والثانية مدينة في ازربيجان كانت شهيرة في العصور الماضية · والثالثة مدينة في شرقي برسيديا · والرابعة مدينة في سوريا وهي حماه · روى هيرودوتس ان قمبيز في مسيره لفتح مصر اجتنب دخول « اكبتانا » لان بعض العرافين تنبئوا له بانه يموت فيها · فلما جرح في سوريا عند عودته من مصر ورحل الى حماه سأل عن اسم المدينة التي هو فيها فقالوا له انها تُدعى اكبتانا فتطاير وايقن بدنوا اجله · ولكن يحتمل ان حماة لم تُدع اكبتانا او هكمتانا ولكنهم لما لفظوا اسمها لقمبيز اشبعوا الهاء ولفظوا « هماة » فصارت قريبة من « هكمتان » ويحتمل ايضاً ان لا تكون هذه القصة صحيحة

وهمذان او اكبتانا او حمدان التي تعاصرنا اليوم قائمة على مسافة ٣٤٠ كيلومتراً من

طهران وهي تابعة لولاية العراق العجمي وعدد سكانها ٣٥ الف رجل · وفيهـا نحو الف عائلة من الاسرائيليين وهم يحترمونها كل الاحترام لقولهم ان فيها قبر استير ومردخاي المذكورين في التوراة · وفيها ايضاً نحو مائة عائلة ارمنية تعمل مع الاسرائيليين بالصنائع الفارسيـة

اما مصنوعات همذان وحاصلاتها فالجلود والسجاد الثمين ولها تجارة واسعة مع الموصل والبصره و بغداد ومركزها الجوغرافي يجعلها في غاية الاهمية لانها قائمة صلة بين بلاد الفرس وما بين النهرين · اما الهواء فيها فغير حار وذلك للثلوج التي تعمم قمة جبل ايلفان الذي يجاورها · وتجري في همذان الترع ومجاري المياه وتزكو فيها الكرمة فيعصر الاسرائيليون والارمن من عنبها خمراً خفيفة

وفي همذان كثير من الاثار التاريخية الجليلة اهمها كلها قبر فيلسوف العرب الرئيس ابن سيناء وجامع مبني في القرن الرابع عشر للميلاد · وتربتها ممتلئة بالاثار القديمة ولكن المنازل الجديدة اقيمت على انقاض المدينة القديمة فاصبح التنقيب مستحيلاً فيها وذلك مما يوجب الاسف

﴿ ترجمته ﴾ هذه هي المدينة العظيمة التي هي مسقط راس احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الملقب بابي الفضل و بديع الزمان · وكانت ولادته فيها سنه ٩٦٨ للميلاد · فلما شب لزم ابا الحسين بن فارس واخذ العلم عنه فامتاز بطلاقة اللسان وحدة الذهن وشدة الحفظ واشتهر امره فاستدعاه الصاحب وزير موًيد الدولة فلزمه بديع الزمان حتى اشتدت الواحه واخذ من اللغة كل ماخذ · ومن عجائبه التي رواها له صاحب اليتيمة انه كان يقرأ مرة واحدة القصيدة التي لم يسمعها قط وهي اكثر من ٥٠ بيتاً « فيحفظها كلها و يوًديها من اولها الى آخرها لا يخرم منها حرفاً » ويقرأ مرة واحدة في ٤ او ٥ اوراق من(كتاب لم يعرفه ولم يره ثم يمليها عن ظهر قلبه · وكان يُقترح عليه عمل قصيدة او انشاء رسالة في معنى بديع فيفرغ منها في الوقت المعين والجواب عنها فيها · وكان يترجم ما يُقترح عليه من الابيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالابيات العربية فيجمع فيها بين الابداع الاسراع) ووصفه صاحب اليتيمة ايضاً فقال « وكان مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الطرف عظيم الخلق شريف النفس كريم العهد خالص المودة حلو الصداقة مر العداوة » ومما قاله في وصفه ايضاً (هو نادرة الفلك وبكر عطارد وفرد الدهر وغرة العصر· من لم يلفَ نظيره في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع وصفاء

الذهن وقوة النفس ولم يروَ ان احداً بلغ مبلغه من لب الادب وسره)

ولكن (نادرة الفلك و بكر عطارد) لم يترك لنا مع ذكائه وفضله سوى ٤٠٠ مقامة كتبها في نيسابور و رسائله الشهيرة التي كتبها في اثناء حياته . وهو شيء قليل من رجل كابي الفضل منح ما مُنع من المواهب الطبيعية وان كان كثيراً على طلاب اللغة والرغبين في اقتباس البلاغة

وقد جلعت له مقاماته ورسائله كما يقول " مقاماً سنياً ووساداً مثنياً " ولكن لم ينشر شيء شهرته بين الناطقين بالضاد في تلك الايام مثل المناظرة التي دارت بينه و بين اديب خراسان الشيخ ابي بكر الخوارزمي صاحب الرسائل المشهورة

﴿ المناظرة ﴾ وكان بديع الزمان قد تعمد هذه المناظرة لانه قصد ابا بكر في نيسابور للقائه وفصل الخطاب بينه و بينه . فكان شانهما في ذلك شان مملكتين تروم كل واحدة منهما ان تستاثر بالعظمة والاولية او شجرتين نبتتا في بقعة ضيقة من الارض فكل واحدة منهما تجتذب مواد الغذاء اليها ولو ماتت اختها . واذا كان هذا التشبيه غير صحيح كان كانت بلاد الفرس والعرب لا تضيق في ذلك الزمان عن شهرة اديبين كهذين الاديبين فيكون ابو الفضل قد قصده طمعاً في سرعة نشر فضله وشهرته . وهذه صورة المناظرة التي دارت بينهما منقولة عن سفر طويل عريض كتبه الهمذاني نفسه وما كان من هذا الكلام بين ضمتين القوسين فهو منه فيجدر بالقارىء مطالعته كله

﴿ المناظرة الكبرى بينهما ﴾

قصد بديع الزمان نيسابور في خراسان للتعرف بافاضل العلماء والفقهاء فلقيه العرب في الطريق فسلبوه ما معه " فمن بزة بزوها . وفضة فضوها . وذهب ذهبوا به . فورد نيسابور براحة انقى من الراحة وكيس اخلى من جوف حمار وزي اوحش من طلعة المعلم " فقصد منزل الخوارزمي فلم يحسن استقباله بل قابله " بطرف نظر بشطره . وقيام دفع في صدره وصديق استهان بقدره وضيف استخف بامره " فصبر بديع الزمان على هذا اللقاء " و ورد الامر في ذلك الى زي استغثه ولباس استرثه وكاتبه يستمد وداده . و يسلس قياده . و يستميل فؤاده . بما هذا نسخته "

بسم الرحمن الرحيم

الاستاذ ابو بكر والله يطيل بقاءه ازرى بضيفه ان وجده يضرب اليه اباط القلة في اطار الغربة فاعمل في رتبته انواع المصارفة . وفي الاهتزاز له انواع المضايقة من ايماء

بنصف الطرف واشارة بشطر الكف ودفع في صدر القيام عن التمام ومضغ الكلام وتكلف لرد السلام . وقد قبلت تربيته صعرًا واحتملته وزرًا واحتضنته نكرًا وتابطته شرًا ولم آله عذرًا فان المرء بالمال وثياب الجمال ولست مع هذه الحال وفي هذه الاسمال انقزز صف النعال . فلو صدقنه العتاب وناقشته الحساب لقلت ان بوادينا ثاغية صباح وراغية رواح وناسًا يجرون المطارف ولا يمنعون المعارف

وفيهم مقامات حسان وجوههم واندية ينتابها القول والفعل

ولو طوحت بابي بكر ايده الله طوائح الغربة لوجد منال البشر قريبًا ومحط الرحل رحيبًا ووجه المضيف خصيبًا وراي الاستاذ ابو بكر ايده الله في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود والمر الذي يتلوه شهد موفق ان شاء الله)

فاجاب الخوارزمي بما نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلت رقعة سيدي ومولاي ورئيسي اطال الله بقاءه الى آخر السكباج وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ومؤلم عتابه وصرفت ذلك منه الى الضجر الذي لا يخلو منه من مسه عسر . ونبا به دهر والحمد لله الذي جعلني موضع انسه . ومظنة مشتكى ما في نفسه . اما ما شكاه سيدي ورئيسي من مضايقتي اياه في القيام فقد وفيته حقه ايده الله سلامًا وقيامًا على قدر ما قدرتُ عليه . ووصلت اليه . ولم ارفع عليه الا السيد ابا البركات العلوي ادام الله عزه . وما كنت لارفع احدًا على من جده الرسول . وامه البتول . وشاهداه التورات والانجيل . وناصراه التاويل والتنزيل . والبشير به جبرائيل وميكائيل . فاما القوم الذين صدر سيدي عنهم فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقة وكمال تفصيل وجملةٍ ولقد جاورتهم فاحمدت المراد ونلت المُراد

فان كنت قد فارقت نجدًا واهله فما عهد نجدٍ عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للاخوان كافةً ولسيدي من بينهم خاصةً فان اعانني الدهر على ما في نفسي بلغت اليه ما في الفكرة وجاوزت مسافة القدرة . وان قطع عليَّ طريق عشرتي بالمعارضة وسوء المواخذة صرفت عناني عن طريق الاختيار . يد الاضطرار

فما النفس الا نطفةٌ بقرارةٍ اذا لم تكدر كان صفوًا معينها

وبعدُ فحبذا عتاب سيدي اذا استوجبنا عتبًا . واقترفنا ذنبًا . فاما ان يسلفنا العربدة فنحن نصونه عن ذلك ونصون انفسنا عن احتماله . ولست اسومه ان يقول استغفر لنا ذنوبنا

انا كنا خاطئين ولكني اساله ان يقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين)

فبعد هذه المكاتبة استحكم النفار بين الاديبين فصار كل واحد منهما يستجهل صاحبه في غيابه و يعزو اليه القصور و يزعم الفضل عليه . وكبر الامر على الخوارزمي لبعد صيته وعلو قدمه اذ لم يكن قد ظهر البديع كل الظهور بعد فطلب ان يناظر ذلك الشاب ليثبت جهله . فاتفق الفقهاء والعلماء على الجمع بينهما فجمعوهما في منزل السيد ابي الحسين . فلما دخل الخوارزمي « قام له بديع الزمان واليه » فاخذ الخوارزمي « يحرق ارمه و يفرغ جعبة وسواسه » فقال له البديع « لا ترقص لغير طرب ولا تحمَّ لغير سبب وانما ذكرناك لتملأ المجلس فوائد ونباحثك فنسعد بما عندك وتسأ لنا فتسر بما عندنا و يقف كل واحد منا موقفه من صاحبه . ولتبدأ بالفن الذي ملكت به زمانك » فقال الخوارزمي وما هو قال الحفظ ان شئت والنظم ان اردت والنظم ان اخترت والبديهة ان نشطت » فقال الخوارزمي ابادهك ثم مال الى السيد ابي الحسين يساله بيتاً ليجيز فاقترح البديع ان يكفيه ذلك العناء فياخذ ديوان ابي بكر و يقرن كل بيت منه بوفقه دون ان يقطع النفس فقال ابو بكر ما الذي يؤمننا من ان تكون نظمت من قبل ما تريد انشاده الآن . فقال بديع الزمان اقترح لكل بيت قافية . ثم اقترح عليهما وزن وقافية فقال البديع على الفور ابياتاً جاء في ختامها

هذا الشريف على تقدم بيته	في المكرمات ورفعه في سمكهِ
قد رام مني ان اقارن مثله	وانا القرين السوء ان لم انكهِ
واذا نظمت فصمت ظهر مناظري	وحطمت جارحة القرين بدكه
اصغوا الى الشعر الذي نظمته	كالدر رُصع في مجرة سلكه
فمتى عجزت عن القرين بديهة	فدمي الحرام له اراقة سفكه

اما ابو بكر « فلم يخرج ابياته من الغلاف و يبرزها من اللحاف » . فقال له البديع « ان البيت لقائله كالولد لناجله فمالك تعق ابنك وتضيعه . ابرزها للعيون وخلصها من الظنون » فكره ابو بكر (ان تكون الهرة اعقل منه لانها تُحدث فتغطي) فمسح جبينه وطلب المبادهة نفساً اي دون ان يكتب فاقترح عليهما الحاضرون ان يقولا على وزن قول المتنبي

ارق على ارق ومثلي يأرق	وجوى يزيد وعبرة تترقرقُ

فقال ابو بكر ابياناً اولها

واذا ابتدهت بديهةً ياسيدي فاراك عند بديهتي تتقلق

ثم وقف يعتذر ويقول « ان هذا كما يجيء لا كما يجب » فقال البديع « قبل الله عذرك . لكني اراك بين قواف مكروهة وقافات خشنة كل قاف كجبل قاف منها نتقلق ونتشقق ونتغلق فخذ الآن جزاءً عن قرضك » ثم انشد ابياناً اولها

مهلاً ابا بكر فزندك اضيق فاخرس فان اخاك حيٌّ يرزق

وختامها

يا احمقاً وكفاك ذلك خزيةً جربتَ نار معرتي هل تُحرق

فقطع ابو بكر عليه وقال يا احمقاً لا يجوز فان احمق لا ينصرف » فقال البديع « ان احمق لا يزال يصفعك لتصفعه حتى ينصرف وتنصرف معه » ثم اخذ الهمذاني ينتقد ابيات ابي بكر . فحمي وطيس الجدال وخرجا من المناظرة الى المهاترة . فعيره البديع بقلة عقله فقال ابو بكر مشيراً الى غناه « انا قد كسبت بهذا العقل دية اهل همذان معقلته فما الذي افدت انت بعقلك مع غزارته » فاجاب البديع « اما انك شحذت فاخذت فاقتنيت فهذا عندنا صفة ذم ياعافاك الله . واما مالك فعندنا يهودي يماثلك في مذهبه ويزيدك بذهبه . ومع ذلك لا يطرفني الا بعين الرهبة » ثم حدد البديع سهام مجونه فصاح ابو بكر « والله لاضربنك وان ضُربت » فقال البديع (نصفعك الآن وتضربنا فيما بعد) . فقال ابو بكر « والله لو دخلتَ الجنة واتخذت السندس والاستبرق جُنة لصفعتَ » فاجاب البديع « والله لو ان قفاك غدا في درجٍ في خرجٍ في برج لاخذك من النعال ما قدم وما حدث »

فلما بلغ الجدال الى هذا الحد اسكتوهما وصرفوا بقية الليل بالانس والانشراح . فاخذ الناس منذ هذا الحين يترامزون ويتغامزون « فراب ابا بكر غمزاتهم مثل ما راب المريض تغامز العواد » فجعل يحلف للناس انه اخذ قصب السبق . ثم سعى بعض الافاضل بينهما بالصلح « فعرف بديع الزمان لخصمه فضل السن فقصده معتذراً » فدعاه الى الاكل عنده فاجاب البديع واقام لديه سحابة يوم فحسب الناس ان الخلاف قد زال لكن زاد انتشار الخبر بين الناس بفوز بديع الزمان على ابي بكر فوجد ابو بكر انه اذا سكت اضاع سمعته فارسل بعد بضعة ايام رسولاً الى البديع يساله ان يناظره في مجلس عظيم من خاصة الناس وعامتهم او ان يعترف له بالسبق والا فانه لا يأمن ان تعتدي تلامذته عليه لان تلامذة ابي بكر كانت قد هاجت خواطرهم على بديع الزمان . فاتفقت

الاراء على ان يُعقد هذا المجلس في دار الشيخ ابي القاسم الوزير « العالم الذي افرغ في عالمَ » وقد حضره الامام ابو الطيب والسيد ابو الحسين والشيخ ابو عمر البسطامي والقاضي ابو نصر وابو سعيد محمد بن ارمك وابو القاسم بن حبيب والنقيه ابو الهشيم والشيخ ابو نصر بن المرزبان والشيخ ابو سعيد الهمذاني . وكان بديع الزمان اول من حضر

فلما انتظم المجلس وغص بالفقهاء والعلماء حضر ابو بكر « ومشى الى فوق اعناق الناس يريد الصدر» فقال له البديع « يا ابا بكر تزحزح عن الصدر قليلاً الى مقابلة اخيك » فقال « لستَ برب الدار فتأمر الزوار» فقال البديع « حضرت لتناظرني والمناظرة اشتقت اما من النظر او من النظير فان كان اشتقاقها من النظر فمن حُسن النظر ان يكون مقعدنا واحداً حتى يتبين الفاضل من المفضول » فرأَت الجماعة راي بديع الزمان فانحط الخوارزمي عن مكانه

وكان المجلس كالدر المنظوم غاصاً باكابر الفقهاء والعلماء والكل متشوقون لاستماع مناظرة هذين الاديبين . فقال البديع في اي علم تريد ان نتناظر فاومأ ابو بكر الى علم النحو فقال البديع اذاً انت تسلم لي ما كنت تدعيه من البداهة والرواية والحفظ والترسل . فقال لا اسلم شيئاً ولا اناظر في غير النحو اولاً . فقال له الاستاذ ابو عمر « ايها الاستاذ انت اديب خراسان وشيخ هذه الديار وبهذه الابواب التي قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق والحذق » ثم اضطره الى منازلة فيها او نزول عنها فقال ابو بكر سلمت الحفظ وذلك لان البديع كان مشتهراً به كما قدمنا

فقال البديع سلم ايضاً الترسل والبديهة لنفرغ للنحو فاجاب ابو بكر لا اسلم الترسل والبديهة ولا سلمت الحفظ . فقال له البديع « الراجع في شيئه كالراجع في قيئه » فسلم ابو بكر الحفظ ثانياً ثم صارا الى البديهة يتناظران فيها وهي ارتجال الشعر فاقترح احد العلماء الحاضرين ان يقولوا على شعر ابي الشيص

ابقى الزمان به ندوب عضاضِ ورمى سواد قرونه ببياضِ

فقال ابو بكر ابياتاً لم يفرغ منها حتى اخذ البديع بانتقادها ثم اندفع يقول شعراً فحاول ابو بكر موآخذته ببعضه فقالت الجماعة « علمنا ايكما اشعر واي البديهتين اسرع » يريدون بديع الزمان فقال ابو بكر فاشهدوا لي بالسبق فسكتوا . ثم مال المتناظران الى الترسل فقال البديع « اكتب كتاباً اذا قرئ من آخره الى اوله كان كتاباً . او اكتب كتاباً ليس فيه حرف منفصل . او كتاباً خالياً من الالف واللام . او كتاباً

خاليًا من الحروف العواطل او كتابًا اوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم · او اكتب كتابًا يُقرأ منه جوابه · او كتابًا اذا فُسر على وجه كان مدحًا واذا فُسر على وجه آخر كان قدحًا» فقال ابو بكر « هذه الابواب شعبذة » فقال البديع « وهذا القول طرمذة » ثم مالا الى الرسائل الاعتيادية فكتب ابو بكر ما نسخته

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرهم والدينار ثمن الدنيا والاخرة بهما يتوصل الى جنات النعيم · ويخلد في نار الجحيم قال الله تبارك وتعالى : خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم · وقد بلغنا من فساد النقود ما اكبرناه اشد الاكبار · وانكرناه اعظم الانكار · لما نراه من الصلاح للعباد · وتنويه من الخير للبلاد · وتعرفنا في ذلك ما يُربح للناس في الزرع والضرع · ويعود اليه امر الضر والنفع · الخ

فقال له بديع الزمان « يا ابا بكر ان الاكبار والانكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع أسجاع قد نبتت في المعد ولم تزل في اليد » ثم قرأ البديع الرسالة التي كتبها وهي رسالة لا يستقيم معناها الا اذا قُرأت معكوسة اي من آخرها الى اولها وهذا نصها

بسم الله الرحمن الرحيم

الله شاء ان المحاضر · صدور بها وتملأ المنابر ظهور لها وتفرع الدفاتر وجوه بها وتمشق المحابر · بطون لها ترشق اثارًا كانت فيه آمالنا مقتفى على اياديه في تاييده الله ادام الامير جرى فاذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع الدين اهل عن الكل هذا يحط ان في اليه نتضرع ونحن واقفة · والتجارات زائفة · والنقود صيارفة · اجمع النار صار فقد كريمًا نظرًا لينظر شيمه · مصاب وانتجعنا كرمه · بارقة وشمنا هممه · على امالنا رقاب وعلقنا احوالنا · وجوه له وكشفنا آمالنا · وفود اليه بعثنا فقد نظره بجميل يتدار كنا ان ونعاءه · تاييده وادام بقاءه · الله اطال الجميل الامير رأى ان · وصلى الله على محمد وآله الاخيار

فلما فرغ من قراءتها « انقطع ظهر احد الخصمين » · ثم صارا الى اللغة فكان ابو بكر لا يطلب بابًا حتى يندفع البديع فيه فيأتي على آخره وعلى الباب الذي يليه فقالو له كفى كفى · فقال البديع حينئذٍ لابي بكر « اقرأ الآن باب المصادر من اخبار فصيح الكلام » فسكت ابو بكر · فقال البديع هاتوا العروض وسرد منه خمسة ابحر بالقابها وابياتها وعللها وزحافها ثم قال لابي بكر هات الآن فاسرده كما سردته فسكت ابو بكر · فقام الناس معجبين

بديع الزمان اما ابو بكر فغشي عليه من قهره فركضت الجماعة اليه وفي مقدمتها البديع فقبل جبينه ومسح وجهه ثم انشد

يعزُّ عليَّ في الميدان اني قتلت مناسبي جلداً وقهرا
ولكن رمت َشيئاً لم يرمه سواك فلم اطق ياليث صبرا

ثم دعوها للطعام مع افضل ذلك المقام فعاد البديع الى مخاشنة خصمه فانشد على المائدة

يا قوم اني ارى الاموات قد نُشروا والارض تلفظ موتاكم اذا قُبروا

فاخبرني يا ابا بكر لمَ غُشي عليك . فقال ابو بكر « لحمى الطبع وحمو الفرو » فقال البديع « اين انت عن السجع هلا قلتَ « حمى الطبع وحمى الصفع » فقال ابو بكر « هذه اسجاع كنتَ حفظتها فقل كما اقوله يصير في عينك قذى . وفي حلقك اذى . وفي صدرك شجى » فقال البديع « يا ابا بكر على الالف تريد . خذ الآن . بفيك البرا . وعلى هامتك الثرى . ولا اطعمك الخ . . الا كما ترى » فضحك الحاضرون . وقال ابو بكر والله لاتركنك بين الميمات . فقال البديع ما معنى الميمات . فقال « بين مهزوم ومهذوم ومهشوم ومغموم ومحموم ومرجوم » فقال البديع « واترك بين الميمات ايضاً بين الهيام والصدام والجذام والحمام والزكام والسام والبرسام والهام والسقام . و بين السينات فقد علمتنا طريقة بين منحوس منكوس معكوس متعوس محسوس معروس . وبين الخاآت ايضاً فقد فتحت علينا باباً بين مطبوخ مشدوخ منسوخ ممسوخ . وبين الباآت بين مغلوب مسلوب مرعوب مصلوب منكوب منهوب مغصوب » . ثم خرج بديع الزمان فلقوه « بالشفاه تقبيلاً و بالافواه تبجيلاً » واحتجر ابو بكر فلم يخرج حتى هبط الليل واسدل الليل ستره » انتهى تفصيل المناظرة كما ذكرها بديع الزمان

وقال صاحب اليتيمة في هذه المناظرة وفي موت صاحب الترجمة

(وناظر ابا بكر الخوارزمي فغلبه مع انه ما كان يظهر ان احداً يتجرأ على مجاراته و بذلك طار صيته في الافاق وادرَّ الله تعالى له اخلاف الرزق . وقد صاهر ابا عليّ الحسين بن محمد الخشنامي الفاضل الكريم الاصل فانتظمت احوال ابي الفضل واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة وعاش عيشة راضية . وحين اربى سنه على الاربعين توفاه الله تعالى فقيل مات مسموماً وقيل عرض له داء السكتة فعجل دفنه وانه افاق في قبره وسُمع صوته بالليل فنبش فوجد انه قد مات وقد قبض على لحيته)

﴿ الخلاصة ﴾ فمما مر يتضح ان بديع الزمان كان وحيد زمانه في اللغة وصناعة الترسل وانه فاز فيها وهو شاب على الخوارزمي الذي قد قطع ايامه في مزاولتها · على اننا مع ذلك ناسف له ان يكون قد صرف مواهبه في ما مر بك من (المنحوس والمنكوس والمعكوس والجذام والزكام والسام والبرسام) وما اشبهها لانه صرفها في ما لا يفيد فائدة تُذكر · ولكننا نعود فنقول انه غير جدير باللوم وانما الجدير به معاصروه الذين كانت عندهم هذه المنات في اسمى منزلة مما كان يحمل الادباء على الاقبال عليها والايغال فيها والاعراض عن العلوم الحقيقية التي فيها صلاح حال البشر وترقية العمران · فعسى ان نتعظ بما فقدناه من المواهب الثمينة السابقة التي قتلناها بالدروس العقيمة ونصلح هذا الخلل في الاجيال الحاضرة والآتية وذلك باصلاح طرق التعليم اصلاحاً حقيقياً ولا سيما اننا لا نزال نرى في اطراف اقلام كثيرين من المعلمين والمتعلمين كثيراً من هذا (الزكام والسام والبرسام) والله ولي التوفيق في البداية والختام

باب المقالات

احياء الموتى بعملية جراحية

عملية هائلة عُرضت على المجمع العلمي الفرنسوي
في الشهر الماضي

اذا نظر البسطاء غرائب المكتشفات والمخترعات في هذا العصر قالوا من دهشتهم ان العلماء والمخترعين سيصنعون في القرون الآتية كل ما يتصوره الفكر من العجائب والغرائب فلا يبقى لديهم صعباً الا الموت والحياة · و يعنون بذلك ان العلماء مهما بلغوا من العلم فانهم لا يستطيعون احياء الميت وصنع الحياة من غير ذي حياة

غير ان العلماء يشتغلون اليوم بذلك · ولا يشتغلون به الاوهم يؤملون ان يقدروا عليه و يصلوا اليه يوماً من الايام · وقد راينا بهذا الشان في وقائع المجمع العلمي الفرنسوي في الشهر الماضي امراً مدهشاً كان له دوي عظيم في جميع الاندية العلمية والطبية في العالم

و بيان ذلك ان الجراحين المسيو توفيه والمسيو هاليون النونسو بين قد عرضا في الشهر الماضي على هذا المجمع بواسطة احد اعضائه المسيو ماراي تفصيل عملية جراحية عملاها في انسان ميت لاعادة الحياة اليه · وهما يقولان انها اتت بنتيجة حسنة · وهذان العالمان هما من مشاهير الجراحين في العالم وقد اعتادا صنع العجائب الجراحيـة قبل اليوم · فانهما يستخرجان المعدة من الجسم و يبقى الجسم حيًّا · ويقطعان المرئ و يضعان مكانه حنجرة صناعية وهلم جرًّا · فغير غريب ان يكونا قد اقدما على اعظم تلك العجائب وهي احياء الاموات

وبما اننا نذكر ههنا هذا الامر استنادًا الى وقائع الجمعية العلميـة المذكورة والمجلات العلميـة الكبرى التي بحثت فيه بروية وامعان فلا مسوغ للارتياب في ذلك · وعليه نقول

ان المبدأ الذي جعله العالمان توفيه وهاليون قاعدة عملهما في هذا الشان هو اعادة الدورة الدموية الى الجسم بعد وقوفهـا بسكون القلب · وتوصلاً لذلك جعلا طريقتهما الضغط باليد على القلب وتحريكه حركة تشبه حركته اثنـاء الحياة فيعود الدم الى دورته ويتوزع على اعضاء الجسم طبقًا لعادته فتعود الحياة الى الانسان بعودة دمه الى الدوران · وقد جربا هذه العملية في بدء الامر في بعض الحيوانات فالظاهر انها نجحت معهما فيها بعض النجاح حتى جرباها بعد ذلك في الانسان · فاخذا جثة شاب عمره ٢٤ سنة كانا يعالجانه في المستشفى وغاب عن الحس حتى ظهرت فيه جميع اعراض الموت من سكون القلب وانقطاع النفس · ثم تناول كل واحد منهما سكينه وبدأ بالعملية · فشقا البشرة فوق معدته وفتحا شقًا واسعًا فيها ثم مد احدهما يده الى داخل جسم الميت واخذ باصابعه طرف القلب الاسفل · و بعد ذلك بدأ يحركه بلطف الحركة التي تشبه حركته في الحياة

فما بدأت يد الجراح تحرك القلب هذه الحركة حتى ابصر العالمان منظرًا مدهشًا · ابصرا الجثة التي امامهما قد فتحت عينيها ونظرت اليهما كانها عرفتهما · ثم اغمضت العينان فكانت تلك الحياة التي ظهرت فيهما هنيهة بمثابة البرق اذا خفق خفقة ثم خبا او بمنزلة شمعة آخذة في الانطفاء فهبت عليها نسمة فزادت نورها قليلاً ثم اطفأتها · وبعد ثلاث دقائق مات ذلك الشاب حينئذٍ موتًا حقيقيًا

ولا يجهل احد انه يوجد على هذه المسالة اربعة اعتراضات مهمة · الاعتراض الاول المسالة الدينية ونعني بالمسالة الدينية الاعتقاد بوجود جوهر في الجسم الانساني مستقل عن المادة وهو النفس التي هي سبب الحياة عند اللاهوتيين · فهذه العملية الجراحية تفترض ان

جسم الانسان كجسم الحيوان مادة في مادة وليس فيه شيء مستقل عن لحمه ودمه . نعوذ بالله من هذا الاعتقاد حتى ولو كان صحيحاً لانه يقذف عقول البشر في هاوية مظلمة

والاعتراض الثاني انه يستحيل احياء الميت بعملية كهذه العملية لان الجسم الانساني حين بلوغه درجة الموت اي درجة الانحلال والضعف التام لا يقدر على حمل تاثيرها بل ان الاصحاء انفسهم لا يقدرون عليه . ولذلك فان الموتى ليس فقط انهم لا يشفون بهذه العملية بل ان الاحياء المغشي عليهم يموتون بها اذا اجريت فيهم

والاعتراض الثالث ان العلماء اذا اعترفوا بسهولة بوجود الموت الوقتي اي سكون حركات الجسم كلها سكوناً يشبه الموت فانهم لا يعترفون بوجود حياة وقتية . وسبب ذلك ظاهر . لان الموت الوقتي يكون له عادة أكثر اعراض الموت من سكون القلب وانقطاع النفس وغياب الحس واما الحياة الوقتية فلا يكون لها الا حركة بسيطة كالحركة التي رايناها في عيني هذا الشاب مما لا يستحق ان يسمى حياة ولكن عرضاً من الاعراض

والاعتراض الرابع ان كل حياة يصحبها حس واذا كان هذا الشاب قد عاد الى الحياة بالعملية الجراحية فيجب ان يكون قد عاد الى الحس . ولو عاد الى الحس لصرخ على الاقل وتألم من تلك العملية الهائلة . فسكوته دليل على عدم حياته . ونظره الذي وجهه الى الجراحين اللذين كانا يرتكبان ذنب تعذيبه هذا العذاب الهائل لم يكن نظر غضب منهما وسخط على قساوتهما

ولكن هذا الاختبار مع ذلك لا يخرج عن كونه في اقصى درجات الاهمية . وقد اهتم به العلماء في كل مكان . نعم انهم لم يستفيدوا منه سوى معرفة ان الدم اذا ارسل الى اطراف جسم الميت بعد موته ببضع دقائق او قبل ذلك ببضع دقائق فانه يعطيها ظاهر الحياة ولكن اذا كانت هذه بداية هذا الاختبار فالله اعلم ماذا تكون نهايته . على ان العالمين توفيه وهاليون يقولان انهما مسروران بهذه النتيجة الابتدائية و يؤملان ان يتقدما في هذه الابحاث تقدماً يذكر

فنحن لا نستطيع ان ندعو لهما بالنجاح للاعتراض الاول الذي ذكرناه

ايطاليا ونشأتها

مقتل بري · تاريخ ايطاليا قبل الوحدة و بعدها · همبرت الاول وصفاته · الملكة مرغريت · الملك الجديد والملكة الجديدة · ملكان في رومه

اذا اردت دليلاً على فساد التمدن الحاضر فحسبك ان تنظر الى هذه الحادثة · ملك يكاد يكون بلا سلطة لانه مقيد بدستور صارم قد ابيضَّ شعر راسه في خدمة شعبه وكان رؤوفاً به دائماً حضر احدى حفلات الالعاب الرياضية في احدى مدنه تنشيطاً للآخذين بها وفيما هو يضحك لشعبه و يستعد للعوده الى قصره مدت اليه يد اثيمه فقتلته · قتلته وهو بريء لا لامر سوى انه ملك اي صاحب السلطة العليا والاهتمام العالي في شؤون دولته · قتلته لان الانسانية في هذا الزمان اصبحت تنزل احياناً الى دركات الوحشية سواء في امها او في افرادها فلا يعود يرويها شيء غير شرب الدماء ولا يردها شيء عن الاعتداء · قتلته لفساد التمدن الحاضر الذي يجعل طبقة من اسافل الناس و بسطائهم اعداء للنظام الحاضر وللذين يديرونه

واننا بمناسبة مقتل هذا الملك الدستوري المحبوب من شعبه ومن سائر الشعوب يجدر بنا ان نبسط الكلام على نشأة ايطاليا مملكته ونلمّ بما يهم من تاريخها وشؤونها

﴿ قبل الوحدة ﴾ لايطاليا تاريخان تاريخ قديم وتاريخ حديث · اما التاريخ القديم فهو تاريخ نشأتها في عهد الرومانيين وليس من غرضنا الكلام على ذلك في هذه المقالة · واما التاريخ الحديث فهو تاريخ وحدتها

ولم تكن ايطاليا منذ نحو نصف قرن مملكة واحدة كما نراها اليوم بل كانت ولايات منقطعة ومدناً مبعثرة · وكان اهم امرائها في القرن الرابع عشر ثلاث عيال · الاولى عائلة الكونت دي سافوى وهي تملك على امارتين البيمونت وسافوى · والثانية عائلة المركيز مونفرات والثالثة عائلة المركيز سالوس · وكان النزاع بين امراء هذه العيال مستمرًا ومضعفاً شأن اماراتهم

ولكن مصائب ايطاليا لم تكن ناشئة عن نزاع امرائها وحكامها فقط فان الدول القوية التي تجاورها وهي النمسا والمانيا وفرنسا كان همها مهاجمتها للتسلط عليها · فذاقت من نير

النمساو بين والالمانيين المقعد المقيم مع ما هو مشهور عنها من حب الحرية منذ القديم
ولكن الضعيف مهما كان ضعيفاً فانه لا يصبر على الضيم وقتاً طويلاً . فبعد احتمالها نير
النمساو بين والالمانيين ونير الفرنسو بين ايام فتح بونابرت لها اخذت تثور على الاجانب طلباً
للحرية غير انها ما لبثت ان ادركت انها قاصرة لضعفها وتفرق كلمتها عن مقاواة خصومها
فادى بها هذا الشعور طبعاً الى طلب الوحدة لتقوى بها على مرادها

وكانت السلطات فيها مختلفة والاحكام مختلفة ايضاً . فمن مبادئ استبدادية متخلفة
عن سلطة رومه وحكم الاشراف القديم . ومن مبادئ ديموقراطية متخلفة عن الجمهورية التي
كانت فرنسا قد اقامتها فيها وعن الثورة الفرنسوية نفسها . اما البابوات الذين كانوا
يحكمون رومه ولهم السلطة العليا الاسمية على جميع امراء ايطاليا فكانوا من انصار المبادئ
الاولى فلم يبقَ في سنة ١٨٥٠ في ايطاليا كلها بعد حروب ومشاكل كثيرة لا يحصى
عددها من بلد فيها حكومة دستورية منظمة غير امارة البيمونت التي كان يحكمها فيكتور
عمانوئيل الثاني من عائلة سافوى

فيومئذٍ بدأت الحركة العظمى التي انتهت بالعمل الجليل الذي جعل ايطاليا دولة
واحدة . فان جميع المظلومين والمقهورين وطالبي الحرية جعلوا موعدهم ومجتمعهم في هذه
البلاد الدستورية فاخذت البيمونت تتفلت من قيود الشقاق وترقى مراقي التقدم والنجاح
ولا سيما حين قبض الكونت دي كافور السياسي العظيم على ازمة وزارتها في ٢
نوفمبر سنة ١٨٥٢

وقد صرف كافور همه الى تنشيط التجارة والزراعة اولاً تحسيناً لاحوال السكان ثم
نظم الجيش واخذ يتودد الى فرنسا حتى اتفق معها لتكون له عوناً على النمسا التي كانت قابضة
على الولايات الايطالية المتاخمة لها . ثم صار يشجع جمعية تُدعى « الجمعية الايطالية
الوطنية » وهي جمعية سرية كان غرضها جعل ايطاليا للايطاليين وطرد الاجانب منها .
واغتنم كافور فرصة حرب القريم واشترك مع الدول في مساعدة الدولة العثمانية رغبة في اظهار
شأن العلم الايطالي . وفي شهر مارس من سنة ١٨٥٥ طرح المسالة الايطالية في المؤتمر
الذي عقد في باريز فاغاظ ذلك النمسا وزاد الطين بلة ان الامبراطور نابوليون الثالث فاه
في احدى مقابلاته بكلام يُستفاد منه ان وحدة الجنسيات امر واجب ففهمت النمسا معنى
ذلك واخذت تستعد للحرب

فحاربتها البيمونت بمساعدة فرنسا فكسرتاها في معركتي ماجنتا وسلفرينو شرّ كسرة وبذلك

استولتا على اقليم لومبارديا وغيرها من البلاد الايطالية التي كانت في قبضة النمسا. فاخذ الايطاليون يصفقون طرباً سروراً بانهم سيمدون مملكتهم من البحر المتوسط الى البحر الادرياتيكي كما كان يقول نابوليون الثالث . ولكنهم ما لبثوا ان رأوا هذا الامبراطور لاسباب جهلوها يعقد الصلح مع النمسا بناء على ان تكون ايطاليا امارات متحدة تحت رئاسة البابا الاسمية

فاسخط ذلك الذين حاربوا لتوحيد ايطاليا واصبح النزاع مزدوجاً نزاعاً مع النمسا في الخارج ونزاعاً مع السلطة البابوية في الداخل . ولكن الشعب الايطالي كان قد انتعش وافاق ودبت في نفسه حلاوة الامل فلم يبق عائق يعيقه عن توحيد المملكة توحيداً حقيقياً . فصرح كافور في ٢٥ مارس من سنة ١٨٦١ في وسط مجلس النواب الايطالي ان ايطاليا لا يهنأ لها عيش حتى تستولي على رومه عاصمتها الطبيعية

فاحدث هذا الكلام تاثيراً هائلاً ولا سيما في بلاط الفاتيكان ونفوس الكاثوليك خارج ايطاليا . ولكن كافور كان داهية عصره فوضع هذه القاعدة رغبة في طمأنينة الافكار وهي : « يجب حفظ حرية الكنيسة وحرية الدولة معاً فتكون الاولى حرة في الثانية » ومعنى ذلك بقول اصرح يجب فصل السلطة الدينية من السلطة المدنية . ولكن هذا الوزير العظيم الذي يُنسب اليه الفضل في انشاء الوحدة الايطالية كما يُنسب الفضل لبسمارك في انشاء الوحدة الالمانية توفي في ٦ يونيو من ذلك العام قبل ان ينال هذه الامنية

فخلفه الوزير ريكازولي وانصرف الى تحقيقها . ولكن نابوليون الثالث صاحب السلطة المطلقة في اوربا في ذلك الزمان اخذ على نفسه حماية السلطة البابوية من كل اعتداء . فعاد يومئذٍ غاريبالدي الى مرسح السياسة . فالف هذا الزعيم الشهير الذي كان اكبر داعٍ الى الثورة الايطالية واعظم عامل في المعارك النمساوية لشدة سلطته على الشعب الايطالي جيشاً ورام الزحف به على رومه . فاغاظ ذلك نابوليون فسقطت الوزارة الايطالية ثم حدث النزاع بين بروسيا والنمسا لان بروسيا اخذت تنتبه الى المبداء الذي وضعه نابوليون وهو « وحدة الجنسية » وقامت تطلب بلادها الواقعة في حوزة النمسا . فرات ايطاليا ان تشارك بروسيا في محاربة النمسا طلباً لمقاطعة البندقية التي كانت في قبضتها . فانتقلت الحكومة الى فلورنسه واستاذنت نابوليون بالحرب فاذن لها من سوء سياسته كما اساء السياسة في مبداء وحدة الجنسية اذ جعل بروسيا تنتصر على النمسا وتقوم بعد ذلك الى معاداة فرنسا وتوحيد الجنسية الالمانية . فكسر النمساويون الايطاليين في معركة كوستوزه

البرية ومعركة ليسا البحرية ولكن البروسيين كسروا النمساويين في معركة سادوى فاستفادت ايطاليا من هذا الانكسار ثم تنازلت النمسا الى نابوليون الثالث عن اقليم البندقيـة الذي عليه الخلاف فوهبه نابوليون لايطاليا فجرح ذلك كبرياء غلاة الايطاليين لانهم لم يستطيعوا اخذه بالقوة

ثم ثارت الحرب بين فرنسا و بروسيا في سنة ١٨٧٠ وكان في رومه بعض من الجنود الفرنسوية المرسلة لحفظ السلطة البابوية فلما شبت نار الحرب استدعى نابوليون هذه الجنود لحاجته اليها اعتماداً على وعد ايطاليا ان تحترم سلطـة البابا . فبعد خروج الجنود الفرنسوية رات الحكومة الايطالية ان تغتنم هذه الفرصة لنيل اعظم امانيها وهي الاستيلاء على عاصمتها الطبيعية لا سيما وان بعض غلاة الايطاليين اخذوا يحركون راكد الفتنة فيها. فساق فيكتور عمانوئيل جنوده اليها فاستولت عليها الجنود في ٢٠ سبتمبر سنـة ١٨٧٠ بعد قتال ضعيف بينها و بين حامية المدينة . وكان نابوليون الثالث قد سقط وقامت الجمهورية فارسلت الجمهورية تهنئ حكومة ايطاليا بفوزها و بذلك غيرت مجرى السياسة الفرنسوية في ايطاليا بكلمة واحدة . وفي ٥ دسمبر سنة ١٨٧٠ افتتح الملك فيكتور عمانوئيل البرلمان الايطالي في فلورنسه فقال فيه « اصبحت ايطاليا اليوم مملكة حرة واحدة فعلينا ان نجعلها بعد الآن سعيدة » وكان ذلك بداية توحيد المملكة الايطالية

﴿ بعد الوحدة ﴾ وفي ٢ يوليو سنة ١٨٧١ دخل الملك فيكتور عمانوئيل الى رومه دخولاً رسمياً . وكانت ايطاليا قد اصبحت عظيمة الشان في الخارج وتقدمت تقدماً بيناً في الداخل . ولكن المسالة المهمة كانت مسالة المالية . فان ميزانيـة الدولة كانت ناقصة فجاء الوزير منكلني ووازنها بجعله النفقات بقدر الدخل غير ان مجلس النواب ما لبث ان اسقطـه

وكانت الاكثرية في البرلمان منذ وزارة كافور من حزب اليمين وهو حزب الملكية فكان هو الذي يدير زمام الحكومة . ولكن حوادث الثورة الايطالية والحروب التي تلتهـا وحوادث الثورة الفرنسوية التي حدثت على مقربة من الايطاليين واثرت في اخلاقهم أنمت في ايطاليا مبادئ الجمهورية والديموقراطية . وكان الملك فيكتور عمانوئيل دستورياً محضاً ولكن الجمهوريين لا يكتفون بذلك . فما لبث ان كثر عديدهم في مجلس النواب فاصبحت اكثريته من حزب الشمال واكثرهم من الجمهوريين فصاروا القابضين على ازمة الامور . فقامت قيامات النزاع في الشؤون الداخلية بين الايطاليين ولا سيما منذ استقرت وحدتهم

ولم يبق لديهم شان خارجي يشغلهم عن الشؤون الداخلية

وقد توفي الملك عمانوئيل في ٩ يناير سنة ١٨٧٨ اي في وقت كانت ايطاليا في اشد حاجة اليه لتسكين اولئك الاحزاب الهائجة وقيامه نفسه صلة بينها · نخلفه في ذلك اليوم ابنه همبرت الاول الملك الفقيد

﴿الملك همبرت الاول﴾ ولد الملك همبرت الاول في ١٤ مارس سنة ١٨٤٤ في تورين وتوفيت امه الملكة عدلائيد ابنة الارشيدوق رنيه النمساوي وعمره ١١ عاماً فاسلمه ابوه الى الجنرال كيبسب روسي لتربيته · فربي همبرت تربية عسكرية محضة

وبقي البرنس همبرت في معزل عن شؤون البلاد الى سنة ١٨٦١ فارسله ابوه مع اخيه البرنس اميده الى فلورنسه للتعرف برجال اقليم توسكانا الذي كان قد ضم من جديد الى ايطاليا · ثم ولاه قيادة الفرقة السادسة عشرة في معركة كوستوزه التي مرّ ذكرها فامتاز فيها البرنس همبرت بسكون جأش غريب · فانه كان سائراً بها في ايام الحرب على طريق فيلافرانكا وهو في غفلة عن النمساويين لانه كان يحسبهم بعيدين عنه واذا بفرقة من خيالتهم قد فاجأت الجيش الزاحف وهجمت عليه · وكان هذا الجيش يسير سير مسافر لا سير مقاتل فلو بلغته الخيالة وهو كذلك لفرقته وكسرته شر كسرة · فثبت قائده البرنس وامره بسرعة ولكن بسكون وهدوء دون انزعاج او قلق ان يتالف مربعات في الحال · فسرى هذا الهدوء والاطمئنان الى نفوس الجنود فلم يذعروا لمهاجمة مهاجميهم بل انتظموا على شكل مربع باسرع من لمح البصر فلما ابصر ذلك الخيالة النمساويون عادوا عنهم فنجا هذا الجيش بثبات جأش قائده

وقد علمنا ان الايطاليين انكسروا في معركة كوستوزه ولكن هذه البسالة التي بدت من اميرهم خففت عليهم مرارة الانكسار

وفي سنة ١٨٦٨ اقترن البرنس همبرت بابنة عمه الاميرة مرغريت ابنة دوق جنوى فاتاه منها في العام التالي البرنس دي نابل فسرت به ايطاليا كلها · ولما استولت الجنود الايطالية على رومه ارسل الملك فيكتور عمانوئيل ابنه همبرت ليسبقه اليها · ولما انتقل البلاط الايطالي الى رومه قبضت البرنسس مرغريت زوجته على ادارته فكانت له جمالاً وبهاء

ثم توفي الملك فيكتور عمانوئيل وهو يوصي ابنه بحفظ الدستور دائماً لان سياسة الايطاليين اصبحت صعبة بالدستور فكيف بدونه · فلما جلس همبرت على عرش ابيه نشر



الملك همبرت الفقيد والملكة مرغريت قرينته خارجان من حفلة احد المعارض
والملك يُسلم بيده على الشعب الذي يهتف له

المنشور الملكي الاعتيادي وفيه يقول « ايها الايطاليون . لقد مات ملككم الاول غير ان ملككم الثاني سيبرهن لكم ان الدستور لم يمت بموته » ذلك ان الايطاليين كانوا يحبون فيكتور عمانوئيل حباً ما وراءه حب لانه كان حارساً للحرية والدستور نخافوا ان لا يحذو ملكهم الجديد حذوه

ولكن الملك همبرت الاول ازال خوفهم . فانه جعل نفسه فوق الاحزاب كلها واقتصر على انفاذ ارادة وزرائه حسبما يقتضيه النظام و يقرره البرلمان . وكان الانقسام الشديد في الاحزاب وسرعة انقلاب الاكثرية في مجلس النواب مما يجعل الحكومة امراً صعباً جداً. فرأى الوزير كريسبي المشهور مع بعض من الرجال الذين يطلبون اعادة ايطاليا الى عظمتها القديمة ان يوجهوا سياسة البلاد الى الاستعمار رغبة في تكبيرها وزيادة ابواب الرزق فيها وصرفاً للافكار عن الانقسام الداخلي الى الامور الخارجية . فعقد الملك همبرت في سنة ١٨٨٢ محالفة هجوم ودفاع بينه وبين النمسا وهي المعروفة بالمحالفة الثلاثية ثم اخذت ايطاليا في الاستعمار فاحتلت مصوع وارسلت المعلمين والمعلمات الى جميع اقطار الشرق لفتح المدارس فيها للذكور والاناث مزاحمة لفرنسا . فادى ذلك طبعاً الى زيادة

النفقات وظهور عجز في المالية ثم كانت معركة عدوه التي انتصر فيها النجاشي على الايطاليين ذلك الانتصار الباهر فشفي الايطاليون اذ ذاك من داء الاستعمار واسقطوا السنيور كريسبي الذي كان يدفع الامة اليه

فاشتد يومئذ سخط الساخطين في ايطاليا وخيف من حدوث ثورة لقلب الملكية واقامة الجمهورية . ثم مرت تلك الزوبعة ولكن ما لبثت ان هبت بعدها زوابع المجاعة لسوء حالة الشعب الاقتصادية فنودي بالاحكام العرفيـة حتى هدأت الافكار بعض الهدوء واخذت الحكومة تقتصد وتقلل النفقات بما في استطاعتها

ولكن كل هذه الفتن والحوادث اولدت في ايطاليا حزباً جديداً غير حزب اليمين وحزب الشمال . حزباً ينمو بنمو الشقاء في العالم ونعني به حزب الاشتراكية

ولا نعني بذلك انه لم يوجد اشتراكيون في مجلس النواب قبل هذه الفتن ولكنا نعني ان شوكتهم كانت ضعيفة . اما في السنوات الاخيرة فانها قويت واخذوا يقاومون الحكومة مقاومة لم يُسمع بمثلها قبلاً ولا سيما في ما ارادته الحكومة من سن نظامات جديدة تغل ايدي الاشتراكيين والعملة والمتعصبين وما اشبه ذلك . فان هولاء المعارضين اختطوا لمقاومة الحكومة خطـة جديدة وهي الصراخ والنداء وضرب موائد مجلس النواب بالايدي ورفسها بالارجل كلما وقف خطيب من حزب الحكومة لاظهار فائدة القوانين التي تطلبهـا الحكومة . فافضى هذا الامر طبعاً الى امتناع البحث والجدال في مجلس النواب . ولما اصر الاشتراكيون على هذه الخطة وانفذوها عند خطابة كل خطيب من خصومهم لم يبقَ الا ان يُحلّ المجلس لانتخاب سواه لعل الشعب يقلل عدد الاشتراكيين الذين ينتخبهم فحل الملك المجلس في العام الماضي فجاءت النتيجة معاكسة لذلك لان الاعضاء الاشتراكيين زاد عددهم بدل ان ينقص . ولا نقول ان هذا الحل قد اغاظ الاشتراكيين فازدادوا في جرائدهم المتطرفة تهييجاً للافكار حتى اثاروا الفوضويين على الملك لاغتياله فان الجرائد الاوربية لم تصلنا بعد لنعلم منها الخبر ولكن نقول ان الفتن التي حدثت في ايطاليا في هذه السنوات الاخيرة قد بلغت من الحدة والجنون مبلغاً لم يعد عنده مصرع الماسوف عليه الملك همبرت امراً مستغرباً . ولكن الشعب الايطالي وا اسفاه غير ملوم وان كان غير معذور . فان الجمعيات السرية الجمهورية تثير ثائره والحكومة قد اثقلت كاهله بكثرة نفقاتها على التسلح وكثرة الرسوم التي وضعتها على شخصه وعلى ملكه وبضائعه . وان جميع محبي خير الامم يسألون له الهداية الى السبيل القويم ليخرج من هذه الازمات التي فيها لئلا

يقال عنه انه لم يكن بعد وحدته واستقلاله اكثر هناء وسعادة مما كان قبلها

﴿صفاته واخلاقه﴾ واخلاق الملك همبرت الفقيد من اشد اخلاق الملوك دماثة وله نوادر كثيرة تدل على حبه الدستور ورغبته في خير شعبه . يروى ان عاملين قصداه لامر فجثيا امامه بخوف فانحنى همبرت واخذهما بذراعيهما قائلاً — انهضا فان الايطالي لا يجب ان يتذلل

وقد اعتدي عليه مرتين في حياته قبل المرة الاخيرة . المرة الاولى في سنة ١٨٧٨ في نابولي فان رجلاً مختل الشعور يدعى باسافانت هجم على مركبتـه وفي يده خنجر وطعنه به فمال الملك عن الضربة فلم تصبه ثم جرد سيفه مسرعاً وهو ساكن الجأش وضرب به المعتدي بطحاً على راسه

والمرة الثانية في رومه . فانه كان سائرًا في مركبته الى حفلة سباق خيل فهجم عليه الفوضوي اكسيار يتو لقتله فاوقفوه والقوا القبض عليه . ولما وصل الملك الى حفلة السباق وكان السفراء وجميع الحاضرين قد بلغهم امر الاعتداء خفوا لاستقباله فقال لهم باسماً " هذا من لوازم حرفتي " يعني ان الملك معرض دائماً لهذه الاخطار

وكان همبرت ذا علاقات مع اعضاء حزب الشمال كما كان مع حزب اليمين وكفى بذلك دلالة على احترامه اراء شعبه وحبه للدستور . وقد زار غاريبالدي في حياته فاحدثت زيارته هذه تاثيرًا عظيماً في نفوس الايطاليين فازدادوا حباً له

وكان رحمه الله يرقد في الساعة العاشرة مساء وينهض في الساعة السادسة ونصف صباحاً وهو محب لركوب الخيل ومولع بتربيتها . وما كان يحضر التمثيل في الملاعب الا ما كان منه للاحتفالات الرسمية . الا انه كان كثير الحب للالعاب الرياضية يحضرها بنفسه ويحضر المعارض تشجيعاً لها . وقد قتل في مونزه حيث يقضي قسماً من فصل الصيف وهو خارج من احدى حفلات الالعاب الرياضية . ووضعنا رسمه في هذه المقالة مقروناً برسم الملكة زوجته حين خروجهما من احد المعارض والشعب يهتف لهما والملك كما ترى في الرسم يسلم عليه السلام العسكري والملكة تضحك ملء فمها

﴿الملكة مرغريت﴾ مسكينة هذه التي كانت تضحك ملء فمها فانها الآن اصبحت تبكي ملء عينيها . وهكذا

ما بين طرفة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

ويقولون ان الملكة مرغريت هي سبب عقد التحالف الثلاثي . فانها رغبة في حفظ

العرش لابنها البرنس دي نابل (فيكتور عمانوئيل الثالث اليوم) اقنعت الملك همبرت زوجها بمحالفة المانيا ظناً منها ان فرنسا تطمع ببعض الاملاك الايطالية وخوفاً من ان يزداد سريان المبادئ الجمهورية الى الامة الايطالية من جارتها وشقيقتها الامة الفرنسوية . فعقد الملك هذا التحالف السري دون ان يعرضه على البرلمان لان الدستور يبيح له عقد المحالفات والمعاهدات التجارية دون استشارة البرلمان ولا يجب عليه ان يطلع البرلمان على مضمون تلك المحالفة او المعاهدة الا اذا اوجبت مصلحة الدولة ذلك . اما اذا كان مقتضى المعاهدة او المحالفة التنازل عن شيء من املاك ايطاليا فالعقد فاسد لان ذلك من حقوق البرلمان لا من حقوق الملك

وقد كان للملكة مرغريت تاثير عظيم على الامة الايطالية في اوقات بؤسها . فانه كان يكفي ان تظهر الملكة في المدن الهائجة او بين القوم الساخطين على الملكية ومثل ذلك الابتسام في فمها فينقلب ذلك السخط الى رضى والصراخ هتافاً وابتهاجاً

وهي كاتبة ومؤلفة بارعة تحسن الفرنسوية والالمانية والانكليزية واللاتينية فضلاً عن الايطالية وجميلة مولعة بالفنون الجميلة . ومن ولعها بفن التمثيل تتردد كثيراً على الملاعب وتقرب الممثلين والممثلات اليها

ويروى عنها انها قالت في يوم من الايام للملك الا ترى انه يجب عليَّ بعد الآن ان اترك الملابس الملونة المفرحة والبس الملابس اللائقة بسني فانني قد تقدمت في العمر . فاجاب الملك ساجيبك على ذلك . وبعد اسبوع وردتها ثلاثة صناديق ممتلئة ملابس ملونة جميلة تكفيها ثلاث سنوات فعرفت الملكة ان هذا جواب الملك فضحكت

﴿ الملك الجديد والملكة الجديدة ﴾ اما ملك ايطاليا الجديد فيكتور عمانوئيل الثالث الذي كان قبل مقتل ابيه يُدعى البرنس دي نابل فهو شاب في الواحدة والثلاثين لانه ولد في ١١ نوفمبر سنة ١٨٦٩ وقد رباه ابوه تربية عسكرية شديدة وولاه قيادة الجند في نابولي ثم قيادتها في فلورنسه . ولما انكسرت الجنود الايطالية في معركة عدوه الشهيرة كان البرنس دي نابل قائداً في هذه المدينة فطار ركضاً الى رومه من غير اذن وزارة الحربية ليلح على ابيه الملك بان يعزل السنيور كريسبي رئيس الوزارة الذي يقود الدولة الى الدمار . فعاقبه ابوه بايقافه ٢٤ ساعة لتركه منصبه من غير اذن الحكومة ولكنه مع ذلك أقال يومئذ الوزير كريسبي كما هو معروف

وفيكتور عمانوئيل الثالث يحسن الفرنسوية والانكليزية والالمانية جيداً وقد اخذ عن

امه الميل الى الادب والفنون . وهو مع ضعف منظره كما ترى شديد النشاط قوي الارادة . وقد اقترن في ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٩٦ بالاميرة اللطيفة الجميلة البرنسس هيلانه كريمة امير الجبل الاسود التي ترى رسمها بازاء رسمه . وقد كان الفرنسو يون ينظرون الى البرنس دي نابل بشيء من السخط قبل هذا الزواج لان البرنس حضر استعراضاً عسكرياً المانياً في ساحات متز في سنة ١٨٩٣ وفي ذلك من المجاهرة بعداء فرنسا ما فيه . الا ان كثيرين منهم اصبحوا يقولون انه كما ان الملكة مرغريت امه قد اثرت على ابيه فجعلته يصافي المانيا ويعقد التحالف الثلاثي كذلك ستجعل الملكة هيلانه ابنة امير الجبل الاسود قرينها الملك فيكتور عمانويل الثالث يسالم فرنسا اتم مسالمة . وهكذا ربما قلبت امارة الجبل الاسود الصغيرة ميزان التحالف الثلاثي وبذلك تقلب هذه العصفورة التوازن السياسي في اوربا كلها . ولعل ذلك معنى قول القائل : « لا تستخفوا بضعف المرأة فان الصاعقة لا تصدر الا عن لطيف الغمام »

ولم يولد بعد للملك الجديد ولد ليكون ولي عهده فاصبح ابن عمه الدوق دوست ولياً لعهده وقتياً . والدوق دوست هو ابن البرنس اميده شقيق الملك همبرت الذي جلس مدة من الزمان على عرش اسبانيا . وله ولدان غير الدوق دوست الاول الكونت دي تورين الذي بارز البرنس هنري دورليان والثاني الدوق دي زابروز الذي ذهب لاكتشاف القطب الشمالي في بعثة علمية روينا خبرها بالتفصيل في الجزء التاسع وانقطعت اخباره بعد ذهابه فارسلوا بعثة اخرى للتفتيش عنه

❊ ملكان في رومه ❊ وقد نشر الملك الجديد في اوائل هذا الشهر منشوره الملكي الاعتيادي فقال فيه انه مستعد لحماية الدستور بكل قوته . وقوله هذا عن حماية الدستور موجه الى فريقين الاول الفاتيكان والثاني الحزب الجمهوري والاشتراكي

اما الفاتيكان فقد قلنا ان رومه كانت عاصمة الاملاك البابوية فيرى الكرسي البابوي ان ملك البيمونت قد غصبه ملكه باستيلائه على رومه ولذلك اقام البابا بيوس التاسع الحجة على هذا الصنع والتزم قصره البابوي لا يخرج منه . ولما جلس لاون الثالث عشر على العرش البابوي كرر هذا الاحتجاج . وقد انحاز الى البابا ملك رومه القديم قسم عظيم من اشراف الايطاليين وعامتهم فاصبحوا يتجاهلون وجود ملك في رومه غير البابا واذا التقوا بمركبة ملك ايطاليا في الطريق حادوا عنها او لم يسلموا على من فيها . واكثر الامراء الكاثوليكيين لا يحضرون الى رومه لانهم مضطرون الى زيارة ملك ايطاليا وذلك يسخط



البرنس دي نابولي ملك ايطاليا الجديد والبرنسس هيلانه
ابنة امير الجبل الاسود قرينته

البابا. وقد جرى ذلك لملك البرتغال شارل الاول الذي هو ابن اخت الملك همبرت فانه امتنع عن زيارة خاله ارضاء للبابا . والامبراطور فرنسوى جوزيف امبراطور النمسا لم يرد الزيارة للملك همبرت الذي زاره في فينا في سنة ١٨٨١ لهذا الغرض ايضاً . ولما زارت البرنسس كلوتيلد اخت الملك همبرت اخاها الذي يحبها حباً شديداً اعتذرت عن النزول في قصره ارضاء للفاتيكان

هذا من جهة الفاتيكان واما من جهة الحكومة الايطالية فانها تبذل قصارى جهدها لجعل الفاتيكان بمعزل عن السياسة الدولية لانكارها سلطته الزمنية . ولذلك ضغطت كل الضغط ايام عقد مؤتمر السلم لتمنع روسيا وهولانده من دعوة قداسة البابا الى الاشتراك في مؤتمر لا هاي

ولكن من حسن الحظ ان البابا اذا كان قد حرم ملك ايطاليا وقطع كل علاقة مع حكومته فهو لم يحرم الا الملك الذي غصب رومه اما ملك البيمونت فانه غير محروم ولذلك تناول الملك فيكتور عمانوئيل القربان المقدس قبل وفاته باذن من البابا وكان الملك همبرت رحمه الله يحضر الصلاة ويتناول القربان ايضاً . وذلك مما يخفف شيئاً من الفتور الذي بين الفريقين

هذا ما وسعه المقام عن ايطاليا وشؤونها . ومنه تتضح المصاعب العديدة التي في طريق ملكها الجديد الشاب فيكتور عمانوئيل الثالث . فنحن ندعو له بالنجاح ليرفع شأن امته وبلاده ونكرر الاسف والحزن على مقتل الشهم همبرت الاول

ثلاث مدارس جديدة

في بيروت

عزمت الكلية الاميركية في بيروت في الشتاء الماضي على فتح فرع تجاري فيها لتعليم الطلبة فن التجارة باصوله بالنظر الى اهمية هذا الفن للشبيبة السورية فكتبنا يومئذٍ في الجزء الصادر في اول مايو الماضي في هذا الموضوع مقالة طويلة جاء فيها ما يأتي

« اما نحن فنرى انه في العام القادم لا تفتح مدرسة تجارية واحدة في بيروت بل تفتح مدرستان تجاريتان واليك البيان

« كانت المناظرة بين مدارس الاباء الفرير ومدارس المرسلين الاميركيين في احدى مدن فلسطين منذ بضع سنوات في غاية الشدة فكانت ادارة الفرير لا تفتح مدرسة في قرية او في حيٍ حتى تفتح ادارة الاميركان مدرسة مثلها بازائها . و بالعكس . فكان مدير الفرير يقول باسماً كلما اراد فتح مدرسة في قرية — سافتح مدرستين لا مدرسة . يعني مدرسة للفرير ومدرسة للاميركان

« وهكذا نقول الآن في مدرسة بيروت التجارية . فان حضرات الاباء اليسوعيين الذين يناظرون حضرات مرسلي الاميركان في تهذيب الشبيبة السورية مناظرة حميدة سيفتحون ولا شك في كليتهم الكبرى مدرسة تجارية يسوعية بازاء المدرسة التجارية الاميركية . واذا كانت تلك المناظرة القديمة قد زالت او خفت — ولا شيء يدل على ذلك — فرغبة في ان لا تُحرَم سوريا منافع مدرسة تجارية نذكرهم بان منزلتهم الادبية والعلمية في سوريا تقضي بان لا تكون الكلية الاميركية اكثر فضلاً من كليتهم . و بالنظر لما نعلمه من فضلهم وما يعلمونه من ان لا غرض لنا من هذا الاقتراح الا الخير العام فاننا بتنا نؤمل ان يقدموا على هذا المشروع النافع المفيد في وقت غير بعيد » انتهى

والآن نقول انه يسرُّ محبي الخير للشبيبة السورية ان حضرات الاباء اليسوعيين لم يخيبوا حسن الظن بهم فقد قرروا في الشهر الماضي انشاء مدرسة للتجارة والصناعة في كليتهم وهذا ما ورد بهذا الشان في جريدة الارز الغراء الواردة في الشهر الماضي قالت

« نقلنا في احد اعدادنا السالفة عن مجلة الجامعة مقالة نفيسة في شدة حاجة البلاد السورية الى مدارس للتجارة والصناعة وافتقار الشبيبة فيها الى الوقوف على ما يمهد لها

اسباب المعايش ويوسع عليها نطاق الحياة ادبيًا وماديًا

« وراق لدينا كثيرًا راي الجامعة في استنهاضها همم اباء الكلية اليسوعية في بيروت الى انشاء مدرسة يتخرج فيها ابناء البلاد صناعيًا وتجاريًا . فاذا هي كالسيف او امضى وكالسيل او اجرى هبت فجردت عزيمتها القاطعة واندفعت الى تحقيق اماني البلاد وفي مقدمتها ناشر لواء الفضل ورافع منار العلم حضرة رئيسها الفاضل الاب كاتين فوفد اليوم بشيرها الصادر في ٢ الشهر الحالي حاملاً الوطن هذا الاعلان

« ان الرغبة في تيسير فرصة جديدة لطلبة المدارس المختلفة في سوريا حتى يبنوا لنفوسهم مركزًا مشرفًا ومفيدًا لمواطنيهم ولبلادهم حركت رؤساء كلية القديس يوسف في بيروت على تاسيس مدرسة عالية للتجارة والصناعة تُعطى دروسها ضمن دائرة الكلية المشار اليها

« وستكون مدة هذه الدروس سنتين ومدة كل سنة مدرسية تسعة اشهر تبتدئ من ١٥ تشرين الاول وتنتهي في ١٥ تموز وقد تعين دخول الطلبة للمرة الاولى في ١٥ تشرين الاول من سنة ١٩٠٠ الحالية ويكونون جميعًا خارجين احرارًا

« اما شروط القبول في هذه المدرسة فهي ان يكون الطالب بالغًا من السن سبع عشرة سنة في الاقل وان يقدم عند دخوله صكاً مصادقًا بتاريخ ولادته مع شهادة بحسن سلوكه من رئيس المدرسة الاخيرة التي تعلم فيها وحينئذٍ يجري عليه الامتحان في لائحة الدروس الثانوية حتى يتبين هل هو مقتدر على اتباع دروس المدرسة اما موعد الامتحان المذكور فبين العاشر والخامس عشر من تشرين الاول

« وفي ختام السنتين يجري امتحان عام في جميع المواد التي تعلمها الطالب ويُسلم ديبلوما عالية او شهادة دروس فقط على حسب ما يظهر من نتيجة امتحانه » انتهى

ويسرنا ايضًا بعد ما تقدم ان نقول ان همم افاضل الطائفة الارثوذكسية في بيروت قد تحركت الى انشاء مدرسة علمية جامعة جديدة وبذلك تصبح المدارس الجديدة المهمة التي تنشأ في بيروت في الشتاء القادم ثلاثًا . وسنذكر ما يتصل بنا من اخبار المدرسة الجامعة الارثوذكسية الجديدة بعد وضع اللجنة تقريرها الذي عُهد اليها وضعه ورفعه الى غبطة البطريرك الانطاكي الارثوذكسي والامور مرهونة باوقاتها

وفي ختام المقال نثني على همم الآخذين بهذه المشروعات المفيدة فان الخير محبوب من اينما جاء . وكل يد تمدُّ اصنعه يد بيضاء

فلسفة الصينيين واديانهم

واخلاقهم

يولد العلم والفلسفة تحت سماء الشرق كما يولدان تحت سماء الغرب . لانه ما دام العقل مشاعاً بين الناس فان العلم الذي هو ثمرته يبقى مشاعاً . فلا تقل اذاً هذا الرجل غير مستعد للعلم لانه شرقي وهذا مستعد له لانه غربي فان الشرق والغرب في نواميس الطبيعة سيان . ويقابل هذا القول قول الشاعر : كل من سار على الدرب وصل

وكفى ان نستشهد على صحة هذا القول بالامة الصينية القديمة التي يذبح الآن ابناؤها ابناء الغرب تعصباً وجهلاً . فانه لما قام فلاسفتها يعلمون الفلسفة والادب كانت باقي الامم في اقصى دركات الجهالة والغباوة . وغرضنا في هذا الفصل ان نذكر شيئاً عن فلسفة الصينيين واديانهم واخلاقهم فنقول

الفلسفة عند الصينيين مقرونة بالدين كما كانت مقرونة به عند جميع الامم القديمة بل هي الدين نفسه . فاذا نظرنا فيها فكأننا ننظر في الاديان الصينية

والاديان الصينية ثلاثة . الاول "جوكيو" او دين "جو" وهو الدين الذي وضعه كونفوشيوش اعظم فلاسفة الصين الذي عاش بين سنة ٤٧٩ و٥٥١ قبل الميلاد . الثالث "توكيو" او دين "تو" وهو دين تلامذة لوتسي . الثاني "فوكيو" او دين "فو" وهو الدين البوذي

اما دين كونفوشيوش فهو اعظمها كلها وعليه مدار الكلام هنا . وهو يؤخذ من الكتب التي وضعها هذا الفيلسوف وهذه خلاصة فلسفته

عنده ان اساس كل الفضائل المحبة البنوية والاحترام البنوي . وهو يقسمها الى ثلاثة اقسام القسم الاول ما يجب للاباء والاجداد والقسم الثاني ما يجب للامبراطور وللوطن باعتبار ان الانسان ابن لوطنه وملكه والقسم الثالث ما يجب على الانسان لنفسه حتى يقتبس الفضائل ويكون اهلاً لان يُدعى ابناً لآبائه ويعود مجده عليهم

وهو يقول ان المحبة البنوية ليست عاطفة بل واجباً حقيقياً ينبغي ان يشمل الجميع من احقر الناس الى اعظم الملوك

ومن اقواله في الحث على حب الاباء "استفد من كل الفصول وكل العلوم وابذل

الجهد في كل سبل الاجتهاد والاقتصاد لتغذي امك واباك »

ومنها « ان الولد الذي يحب والديه حباً حقيقياً يسمع صوتهما دون ان يحادثاه و يراهما دون ان يكونا حاضرين »

ومن اقواله في ذلك ايضاً « حبَّ والديك واكرمهما في حياتهما واسف عليهما وابكهما بعد موتهما فان هذا هو القيام بالواجب الانساني العظيم »

واما مدة الحزن والحداد ففيها يقول « يجب ان تحزن على موتهما اشد حزن ولكن لا ينبغي ان تحزن حزناً يُضعف بصرك وسمعك . فانه اذا كان في راسك جرح فلك ان تغسله واذا حمي جسمك فلك ان تستحم واذا مرضت فلك ان تاكل لحماً وتشرب خمراً ولكن متى زالت هذه الطوارىء ينبغي ان تعود الى الحداد والا فانك تهين الطبيعة وتكفر بنعمة والديك »

و يقول كونفوشيوس في احد كتبه « كلما افتكرتُ بك يا ابتاه احسست باني انتقلت الى السماء . وانني الآن في مماتك اذكرك فاقتدي بك كما كنت في حياتك اصغي اليك واطيعك »

فهذه التعاليم التي نشرها كونفوشيوس في جملة ما نشره من تعاليمه الادبية الجميلة اصابت هوى شديداً في نفوس ابناء وطنه ولا سيما تلامذته فتمسكوا بها تمسكاً لا مثيل له حتى اصبحت بعده واجباً لا يجوز اغفاله . ثم اكتسبت بمرور الزمان صفة دينية فصارت ديناً خاصاً للقسم الاكبر من الصينيين . بل صارت شقاءً لهم و بلاءً

ذلك انه اذا كان يجب على الصينيين عبادة ابائهم فهو دليل على ان اولئك الاباء افضل الناس واعظمهم . واذا كانوا افضلهم واعظمهم فيجب التشبه بهم في كل ما كانوا يصنعونه في حياتهم والخروج عن ذلك اهانة لهم وتهور يؤدي الى الشقاء والتعاسة . وهذا هو الامر العظيم الذي اغضبهم على الاجانب فضلاً عن المسالة السياسية التي بسطناها في الجزء الماضي . فان السكك الحديدية التي تُمد في بلادهم تمر فوق قبور آبائهم فتدنسها وتقلق بصوت البخار الارواح التي في فضاء البلاد . والدين المسيحي الذين يدعونهم اليه يعلمهم ان اباءهم كانوا قوماً وثنيين جهلاء وفي ذلك ما فيه من الكفر بنعمة الاباء والاجداد . وهكذا اصبحت وا اسفاه فضيلة محبة الوالدين اعظم موانع تمدن الصين

اما القسم الثاني من فلسفة كونفوشيوس فهو البحث في طريقة سياسة الامم . وعنده ان أساس كل حكومة « اخلاق الحاكم وكفاءته » فاذا كان اهلاً لوظيفته صلحت حال

رعيته واذا كان غير اهل فسدت حالهم . ولذلك يقول لتلامذته « يجب ان يكون للادباء نفوس سامية قوية لان الحمل الذي على عواتقهم ثقيل » ويعني بالادباء الذين تُسند اليهم وظائف الحكومة وبالحمل شؤون الحكم . ذلك ان الادباء هم الذين يُديرون ازمة الصين على حين انهم « يدورون » عندنا كما لا يخفى على العارفين .

واما الديانة البوذيه فاصلها من الهند وواضعها بوذه الفيلسوف الهندي الذي عاش بين سنة ٦٢٢ و٥٤٢ من الميلاد . واساس تعاليم هذه الديانة فلسفية محضه وهي مبنية على اربع قواعد الاولى وجود الالم والثانية سبب وجود الالم والثالثة ازالة هذا السبب والرابعة الطريق ذات المسالك الثمانية التي تؤدي الى ازالة الالم . وقد بدأ مرسلو الديانة البوذية بدخول الصين في القرن الثالث قبل الميلاد فلم ينجحوا فيها اولاً ولكن الامبراطور هنغ تي قرر جعل الديانة البوذية في سنة ٦١ قبل الميلاد من ديانات الصين الرسمية مع التاوتية والكونفوشية وارسل من اتى بكاهن من كهانها من الهند في سنة ٧٥ ومعه تعاليم بوذه وكتاب مقدس من كتبه . وقد حارب الصينيون الهنود بعد ذلك غير مرة للحصول على الكتب البوذية . ثم انتشرت الديانة البوذية في الصين كلها ورجحت على ديانة كونفوشيوش نفسها ودخلت من الصين الى كوريا في سنة ٣٧٢ للميلاد والى اليابان في سنة ٥٥٢

غير ان كل دين تقريباً يتوقف صلاحه او فساده على اخلاق الآخذين به . وقد كانت الديانة البوذيه رفيعة الشان في الهند لانها فلسفه لطيفة علم فيها بوذه اللطيف احتقار ملاذ الحياة والعزلة والادب والفضائل العديدة وازالة الحزن والالم من الحياة لانها ينغصان العيش وينشئان الشقاء في العالم . اما في الصين فما لبث الصينيون ان افسدوا هذا الدين الادبي بما ادخلوه اليه واخرجوه منه من التعاليم فانحط شأنه وشأن الآخذين به واصبح دين الكسل بعد ان كان دين الفضيلة . وليس الغرض من هذا المقال بسط الكلام على الديانة البوذية فانّ ذلك يضيق عنه هذا المقام وربما افردنا له فصلاً خصوصياً نودعه ترجمة واضعه بوذه العظيم بالنظر الى اهميتها . لذلك نكتفي بما ذكرناه عنه وننتقل الى الديانة الثالثة

فنصل هنا الى اسمى ديانات الصين . الى فضائل من اسمى الفضائل التي دوى صداها في جو العالم . فان تعاليم كونفوشيوش تعاليم ادبية ولكنها ارضية بسيطة اما هذه التعاليم فهي فلسفة علوية ترفرف فوق باقي التعاليم كما ترفرف النسور في الفضاء

وهي لطيفة وديعة تكره الاعتداء وتحرمه وتعلم التسامح والاتضاع ولطف المعاملة والرضى والسرور بكل شيء في هذه الحياة · وتلبس اكثر المواضيع جداً وخطارة ثوباً جميلاً من الحكمة والظرف فتسر بها النفس لحكمتها وظرفها معاً

اسمع ماذا تقول هذه الديانة في الخصام والنزاع بين البشر

« افترض ان رجلاً وحشي الاخلاق اساء معاملتي · فاذا كنت حكيماً وجب عليّ ان افحص ضميري واسأل نفسي هل قصرت بما يجب عليّ له · فاذا شهد لي ضميري بانني لم اقصر وجب عليّ ان اسأل نفسي ايضاً هل عملت شراً في حياتي يستحق هذه الاهانة · فاذا رايت انني لم اسيء معاملته ولم اعمل شراً قلت ان ذلك الرجل احمق وابتعدت عنه »

ومن اقوالها « اذا سافرتُ مع اثنين فلا بد ان يكون فيهما واحد يقتدي بي وآخر ارى نقائصه فاجتنبها في نفسي »

« ان الرجل الحكيم الفطن مديون للمصائب بحكمته وفطنته لانها هي التي علمته اياها »

« اكبر عيوب الناس انهم يتركون الاشواك في حقولهم و يركضون لنزعها من حقول جيرانهم »

ومن اسمى هذه الاقوال بل من اسمى ما قيل في كل فلسفة ودين ما جاء في هذه التعاليم عن معاملة الناس وهو

« ابذل كل جهدك لتعامل الناس كما تحب ان يعاملوك »

ومن الغريب ان تكون البلاد الصينية التي كانت مهبطاً لهذه الفلسفة مرسحاً للحوادث الفظيعة التي حدثت فيها في هذا العام · ولكن يبطل الاستغراب متى علمنا ان الصين تعمل الآن بديانة كونفوشيوش التي تقضي بحرصها كل الحرص على تقاليد الاباء والاجداد لا بهذه الديانة التي تعلمها اللطف والحكمة واحترام حقوق الغير والسلوك مع باقي الامم كما تريد ان يسلك باقي الامم معها · لذلك يصح القول بان ديانة كونفوشيوش اذا كانت ستبيد الصين فان ديانتها الثالثة تنقذها · هذا بصرف النظر عما يخالط جميع تعاليم البشر من الخرافات والاوهام · ولذلك اقترح على الدول كثيرون من الكتاب ان يقتصرن في عملهن بالصين على هدم هياكل الديانة الاولى و زيادة هياكل الثانيـة وهو قول يُقصد به امتداح هذه الديانة فقط لانه لا يخفى ما في مس اديان البشر من الخطر فضلاً عن وصمة الاعتداء

ومن المعلوم ان اخلاق كل شعب نتيجة تربيته وديانته او فلسفته التي يتلقنها فتكيف

افكاره وتغرس في ذهنه المعرفة او الجهل الخير او الشر · وقد كان يُرجى ان تغرس هذه الفلسفات الثلاث في نفوس الصينيين الطف العادات والاخلاق لما انها في اصلها لطيفة جميلة · ولكن « كل شيء يخرج حسناً من يد الخالق ولا يفسد الا متى لعبت به يد الانسان » كما قال جان جاك روسو في مقدمة كتابه الجميل « اميل » · فان الصينيين اساءوا فيهم هذه الفلسفات الثلاث فافسدوها وحولوها الى وثنية قبيحة اذ اقاموا لها الاصنام واصبحوا يتقربون منها بالذبائح وبعض باقي الناس واليوم يتقربون منها بقتلهم

ولا نحاول في هذه النبذة الالمام بجميع اخلاق الصينيين وعاداتهم فان ذلك يقتضي بحثاً مفرداً وانما نروي هنا شيئاً من تلك الاخلاق فان البعض يدلُّ على الكل ونفتتحها بذكر حال المرأة في الصين فان في ذلك دلالة على حقيقة الهيئة الاجتماعية لان حال المرأة مقياس تمدن كل امة

وحال المرأة الصينية ليست مما يجب ان تحسدها عليه اخواتها الشرقيات · فانه اذا ولد للرجل غلام ساد الفرح في منزله واذا ولد له ابنة قال حزيناً « لقد سقط حجر من سقف بيتي » او آجرة اي احدى القطع الحجرية التي يُسقف البيت بها · ومعنى ذلك مفهوم من هذا المثل الصيني « لما يولد الغلام ينام في سرير ويلبس الملابس الفاخرة ولكن لما تولد الابنة تنام على آجرة من سقف البيت ملفوفة بنسيج بسيط · وهي لا تقدر في كبرها على خير او شر وكل وظيفتها ان تعد الخمر والطعام لزوجها ولا تسوء اهلها بشيء »

ومن امثالهم فيها ايضاً « يجب ان تكون العروس بعد زواجها صدى زوجها وظله فقط » وفي ذلك ما فيه من الدلالة على انحطاط هيئتهم الاجتماعية بانحطاط شأن النساء عندهم

ومن امثالهم في الجنود قولهم « ان تسعة اعشار الجنود الصينية لصوص » وهذا يدل على انحطاط شان الجندية عندهم وكفى به دليلاً على ضعف وطنيتهم وعدم ثقتهم بحكومتهم

ووظائف الحكومة عندهم تُباع بالاموال ولا يوجد بلاد افسد حكماً واكثر رشوة من بلاد الصين وذلك لان الشعب في ادنى دركات الجهل والغباوة لا همّ له غير زراعة الارض اما زمام الحكومة ففي ايدي المتجربن بها · ومما يدل على جهل الشعب وضعفه ان الفرنسو بين

لما تغلبوا على الصينيين واخذوا منهم التونكين في سنة ١٨٨٥ اشاع البلاط الصيني ان الجنود الصينية قد انتصرت على الفرنسويين انتصاراً باهراً ولكن بما ان فرنسا دولة فقيرة ضعيفة فقد تنازل الامبراطور وتعطف عليها بمنحه اياها بلاد التونكين جبراً لخاطرها المكسور . وقد صدق يومئذٍ الشعب هذه الخرافة

ولكن مما هو ادل على ذلك الجهل المطبق الجرائد الصينية . ونكتفي بايراد مثل عنها. فان احد الكتاب الصينيين اذا بعث الى احدى الجرائد مقالة ولم تستطع هذه الجريدة نشرها لضعفها او عدم اهميتها بعث محرر الجريدة الى صاحب المقالة يعتذر اليه بهذا الكلام الذي وجدنا ترجمته في جريدة الرائد المصري الغراء

« يا اخا الشمس والقمر . انظر الى العبد الذي يقف عند موطئ قدميك ويقبل الارض امامك ويلتمس من حلمك العفو والاذن لكي يتكلم ويحيا . قرأنا رسالتك بسرور تام وبعظام اجدادنا نقسم لك اننا لم نقرا في حياتنا مقالة بديعة كمقالتك

« فلو قبلناها وادرجناها لامرنا جلالة الامبراطور ان نتخذها مثالاً لكل الكتابات وان لا ننشر بعدها كتابة دونها في البلاغة والفصاحة . وبما ان كتابة مثلها ضرب من المحال حتى بعد عشرة آلاف عام فاننا بارتعاش نرجع اليك رسالتك ونلتمس منك عشرة آلاف سماح . انظر فان رأسي عند قدميك وانا عبد عبدك » محرر الجريدة

فاذا كان هذا هو مبلغ جهل كتاب الصينيين وقادة عقولهم فما القول بعامتهم . ومنه تعلم مبلغ جهل هذه الامة المسكينة

على ان في هذه الامة مع جهلها اخلاقاً محمودة وصفات لا تكاد توجد في سواها . منها القناعة الى حد غريب وشدة تعلق الصيني بالارض التي يولد فيها واحترام ابائه واجداده وامبراطوره اشد احترام كما مرَّ بنا وغير ذلك مما يضيق دونه المقام

هذه هي الامة التي تعاند الآن اميركا واوربا كلها ولو عقلت حكومتها فانتظرت حتى انارت عقول شعبها واصلحت شؤونه شداً لازرها به لكان ذلك اعود عليها واجدر بها وبتمدنها القديم من العمل الفظيع الذي عملته او تركته يُعمل على مرأى ومسمع منها

باب تدبير الصحة

الوقاية

﴿ ميكروبات الامراض ﴾

انقسم الناس في مسالة الميكروبات الى قسمين · قسم لا يبالي بوقاية جسمه منها ولا يعبأ بها فيعرض نفسه وذويه لاقبح الامراض في الحاضر وفي المستقبل وقسم يبالغ في هذه الوقاية حتى ينغص بها عيشه · فلا يمس شيئاً ولا يا كل طعاماً ولا يشرب شراباً ولا يُسلم على شخص ولا ولا ولا الا وهو مفتكر بتلك الحويونات الصغيرة التي تروعه ونفسه خائفة من انتقالها بواسطة ذلك اليه · وكلا الفئتين مخطئتان لان الافراط مضر كالتفريط في هذه المسالة وخير لامور الوسط فيها وفي جميع مسائل الحياة

وربما توصلوا في المستقبل الى اغناء الانسان عن وقاية نفسه من الميكروبات المنتشرة في كل شيء حوله وذلك باكتشاف المادة التي تقوي كريات الدم على جراثيم المرض من اي نوع كانت وتجديد الدم بهذه الواسطة واطالة الحياة · ولكن الى ان يتحفنا العلماء بهذه النعمة ينبغي ان لا تهمل الوقاية من الميكروبات فان الوقاية خير دواء لها

والوقاية من الميكروبات على نوعين الاول هيجيين العقل والثاني هيجيين الجسم · اما هيجيين العقل فالحرص على ابقائه هادئاً سليماً صحيحاً فان ذلك مما يؤثر احسن تاثير على المجموع العصبي وصحة الجسم باجمالها · ولذلك ينبغي ان لا تغضب من شيء وان لا تفرح كثيراً ولا تحزن كثيراً وان لا تطالع كتابات مضرة تقلب التوازن في عقلك ولا تنظر لمناظر تحرك في نفسك عوامل لا تتحرك بدونها فكثيراً ما تكون صحة الانسان وادبه بل حياته كلها متوقفة على هذه الامور التي تحسبها صغيرة وهي في الحقيقة كبيرة جداً

واما هيجيين الجسم فهو العناية بصحته وعافيته من كل الوجوه · وبما اننا لا نبحث هنا الا في وقايته من الميكروبات فنقتصر على احصاء الوسائل التي يجب عليك اتخاذها لاجتناب مباشرة هذه الجراثيم بقدر الامكان

(١) لا تشرب الماء الا مرشحاً ومبرداً بعد اغلائه على النار ولا تدع الهواء يمسه

(٢) اجتنب الاماكن التي يثور الغبار في هوائها فان الغبار الذي تستنشقه حينئذ

غاص بالجراثيم

(٣) نظف دائماً غرف المنزل ولا تضع فيها اثاثاً يمكن للغبار ان يختبئ فيه ولا تهمل الغبار ابداً

(٤) كثيرون يجتنبون ركوب المركبات العمومية (مركبات الاجرة) لانه من يعلم اذا كان لم يركب ذوو امراض فيها ولذلك يجب ان يُعنى دائماً بتطهيرها سواء كانت للسكك الحديدية او الترامواي او كانت مركبات خيل

(٥) لا تأكل شيئاً دون ان تكون واثقاً كل الثقة بنظافته ولا تاكل من غير غسل يديك والا خيف ان تُدخل الى باطنك ميكروبات الامراض التي علقت بهما

(٦) اياك ان تضع في فمك نقوداً او قلم رصاص يكون لسواك او اي شيء آخر ليس لك

(٧) لا تلصق طابع البوسطة (البول) بلسانك ولا تختم به الكتاب ايضاً

(٨) اجتنب المرور بالشوارع القذرة وحوالى الاماكن التي يوجد فيها مرض والمزابل واماكن الاختمار ومخازن الخرق البالية واياك ان تمسك منها شيئاً

(٩) لا تبتع كتباً قديمة ولا امتعة قديمة واحذر الغبار والبقع على ثيابك

(١٠) ابطال البصق في الشوارع والمركبات والاماكن العمومية

(١١) انشاء المجالس البلدية آلات لتطهير المنازل والشوارع واستعمال الاهالي هذه الآلات كثيراً

(١٢) التلقيح بالمصل المقاوم لفعل الميكروب

والخلاصة ان الوقاية من ميكروبات الامراض مسألة من اهم المسائل ولكن ينبغي ان لا يفرط الانسان ولا يفرط فيها

﴿ الزواج والتدرن الرئوي ﴾

قال الدكتور كيرشنر ان الزواج يساعد على استفحال التدرن الرئوي لان كل نقص في قوى الجسم يحدث في الرئة درنة ويكبر الدرنة الموجودة · والزوج الذي يكون سالماً يسري اليه من زوجته هذا الداء وربما كان المرض كامناً في احدهما فيظهر في الحال في الرجل بعد زواجه وفي المراة عند الولادة او الحمل · اما الاولاد التي تاتي من هذا الزواج فانهم

تعساء محكوم عليهم بارث اسود · ولذلك كله يجب ان يُمنع من الزواج كل شخص يكون مستعداً لقبول هذا الداء · و بعد شفائه منه لا يجب ان يتزوج الا بعد انقضاء سنتين على ذلك · وبما ان حكومات الامم لا تزال مقصرة في مسالة منع الزواج اذا كان احد الزوجين مستعداً لبعض الامراض الوراثية فلا يُرجى منها الآن قطع هذا الشر بل يجب على الكتاب والجرائد والخطباء تنبيه الناس الى سوء عاقبته واظهار ضرره العظيم في شخص المريض المتزوج وفي اولاده من بعده · ولكننا نرى ان الامم قد تنبهت الى الخطر الذي في ترك حرية الزواج للمرضى فقد قام طبيب كبير في المانيا يدعو الحكومة الى سن نظام يمنع كل رجل ان يتزوج ما لم يكن في يده شهادة من الطبيب تشهد له بسلامة البنية من كل داء يعدي و يوجد بلاد صغيرة في اميركا الجنوبية قد قررت ذلك منذ عدة سنوات · ولا يخفى ما في هذا الامر من الوقاية للصحة العمومية وللاجيال الآتية وان كان فيه ما فيه من التضييق على الحرية الشخصية

التدخين

اختلف الناس عموماً في هل ان التدخين مضر ام لا · اما نفعه فلم يقل به الا فئة قليلة جداً وقد حصرت هذا النفع في تنبيه الدماغ والمساعدة على الهضم وعلى الاخص قتل الميكروبات التي تكون في الفم بواسطة حرارته ودخانه وهو قول ضعيف وان كان يقول به بعض الاطباء

واما ضرره فان بعض الناس يعزون اليه اضراراً شتى وهذا ما حمل الدكتور ماكس بريتنغ الالماني على اجراء بحث دقيق في المانيا بشان مضار التدخين فثبت لهذا الباحث ان الضرر يكون بالاكثر متوقفاً على صفة التبغ الذي يشرب به الانسان وعلى كميته فالكم والكيف هما منشأ الضرر لا التدخين نفسه

وقد وجد ان التبغ الذي يشرب به الالمانيون على وجه الاجمال غير مضر بالصحة العمومية لانه خفيف · هذا اذا اقتصر الشارب على سيكارة او اثنتين في النهار · ولكن العشرين او الثلاثين سيكارة تضر شاربها و بالتالي الصحة العمومية ضرراً كبيراً · غير انه لما كانت السيكارة الواحدة توصل عادةً الى العشرين فهي خطر ايضاً · وهنا يحث الدكتور ماكس المجلات والجرائد على اظهار قبح التدخين وقذارته وضرره للجمهور ليتعظ بها و يترك هذا الضرر العام · ثم يطلب وضع قانون يحظر التدخين على الاولاد و يقضي بمعاقبة اصحاب

الحوانيت الذين يبيعونهم تبغًا او سكائر

ثم ذكر تاثير التبغ في صحة الجسم فقال ان هذا التاثير يحل اولاً في القلب و يشتد شيئًا فشيئًا · وان الذين يبلعون الدخان عند التدخين يُصابون بالزكام الشعبي و بعد ذلك تاتي نوبة الحواس فربما ضعف بعضها ضعفًا غير يسير

صفحة الشعر

اجابةً لطلب كثيرين من القراء فتحنا هذا الباب لننشر فيه نتفًا شعرية وشذرات تكون جامعة بين الفكاهة والفائدة

اي بيت تقوله العرب اشعر — قيل لابي عمرو بن العلاء اي بيت تقوله العرب اشعر قال البيت الذي اذا سمعه سامعه سولت له نفسه ان يقول مثله ولان يخدش انفه بظفر كلب اهون عليه من ان يقول مثله · وقيل للاصمعي اي بيت تقوله العرب اشعر قال الذي يسابق لفظه معناه وقيل للخليل اي بيت تقوله العرب اشعر قال البيت الذي يكون في اوله دليل على قافيته وقيل لعميرة اي بيت تقوله العرب اشعر قال البيت الذي لا يحجبه عن القلب شيء · واحسن من هذا كله قول زهير

وان احسن بيت انت قائله بيت يقال اذا انشدته صدقا

قيل للحطيئة من اشعر الناس فاخرج لسانًا رقيقًا كانه لسان حية وقال هذا اذا طمع · وقيل لكثير عزة لم تركت الشعر قال ذهب الشباب فما اعجب وماتت عزة فما اطرب ومات عبدالعزيز فما ارغب · يريد عبد العزيز بن مروان · وقالوا اشعر الناس النابغة اذا رهب و زهير اذا غضب وجرير اذا رغب · وقال عمرو بن هند لعبيد بن الابرص ولقيه في يوم بؤسه انشدني من شعرك قال حال الجريض دون القريض · وقد يمنع الشعر على قائله ولا يسلسل حتى يبعثه خاطر او صوت حمامة · وقال الفرزدق انا اشعر الناس عند الياس وقد ياتي عليَّ الحين وقلع ضرس عندي اهون من قول بيت شعر وقال الراجز

انما الشعر بناء * يبتنيه المبتنونا * فاذا ما نسقوه
كان غثًا اوسمينا * ربما واتاك حينا * ثم يستصعب حينا

تاثير الشعر عند العرب — كان المحلق بن خيثم بن شداد خاملاً لا يذكر

حتى طرقه الاعشى في فتية وليس عنده الا ناقة فاتى امه فقال ان فتية طرقونا الليلة فان رايت ان تاذني في نحر الناقة قالت نعم يا بني فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها شرابًا وشوى لهم بعض لحمها فاصبح الاعشى ومن معه غادين فلم يشعر المحلق حتى اتته القيصدة التي اولها

ارقت وما هذا السهاد المؤرق وما بي من سقم وما بي تعشق
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لباني ثدي ام تقاسما باسحم داج عوض لا تفرق
ترى الجود يسري سائلاً فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونق

فلما اتته القصيدة جعلت الاشراف تخطب اليه وتقول «وبات على النار الندى والمحلق» وقوله تقاسما باسحم داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شيء تفعله الفرس لا يفترقوا ابد الدهر

قال المامون لمحمد بن الجهم انشدني بيتًا اوله ذم واخره مدح اولك به كورة فانشده

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لحسن المخبر

فقال له زدني فانشده

ارادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

وقال هارون الرشيد للمفضل الضبي انشدنا بيتًا اوله اعرابي في شملته هب من نومه وآخره مدني رقيق غذى بماء العقيق قال المفضل هوات عليّ يا امير المؤمنين فليت شعري باي مهر تطلب عروس هذا الخدر قال هو بيت جميل حيث يقول

الا ايها النوام ويحكموا هبوا اسائلكم هل يقتل الرجل الحب

فقال له المفضل فاخبرني يا امير المومنين عن بيت اوله اكثم بن صيفي في اصابة الرأي وآخره بقراط الطبيب في معرفته بالدا والدواء قال له هرون ما هو قال هو بيت الحسن بن هاني حيث يقول

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

سمر الفرزدق والاخطل وجرير عند سليمان بن عبد الملك ليلة فبينما هم حوله اذ خفق فقالوا نعس امير المؤمنين وهموا بالقيام فقال لهم سليمان لا تقوموا حتى تقولوا في هذا شعرًا فقال الاخطل

رماه الكرى في راسه فكانه صريع سقى ما بين اصحابه خمرا

فقال له ويحك سكران جعلتني ثم قال جرير بن الخطفي

رماه الكرى في راسه فكانما   يرى في سواد الليل قنبرة حمرا

فقال له ويحك اجعلتني اعمى ثم قال الفرزدق بعد هذا

رماه الكرى في راسه فكانما   اميم جلاميد تركن به وقرا

قال له ويحك جعلتني مشجوجاً ثم اذن لهم فانقلبوا فحياهم واعطاهم (العقد الفريد)

شؤون نسائية

ننشر في هذا الباب شذرات وفصول مختصة بموضوع النساء
وتدبير المنزل وما اشبهها

الميكروب في اذيال النساء

اجمع المؤتمر الطبي الذي عُقد اخيراً في رومه ان الحلل «الفساطين» الطويلة الاذيال مضرة جداً بالصحة لانها تنقل الميكروبات من الشوارع . وقد فحص احد اطباء هذا المؤتمر ذيل فسطان طويل مشت فيه صاحبته في احد الشوارع فوجد عالقاً فيه ما لا يُحصى عدده من الميكروبات المختلفة فلتحذر السيدات

شراب الصيف

تعددت انواع الاشربة التي يتخذها الناس في الصيف لتخفيف حرارة اجسامهم وقد ذكر احد الاطباء شراباً يصنعه ويشرب منه دائماً وهو — ياخذ ٤ او ٥ (التار) من الماء فيغليها ثم ينقع فيها الشاي حتى تصبح شاياً خفيفاً فيبردها ومتى بردت تكون درجة حرارتها اقل من حرارة الماء عادةً . ثم يضيف اليها سكراً وبعض قطع من الليمون الحامض فيزداد طعمها طيبة وتصير شراباً مرطباً ولذيذاً

اي شيء في الرجال اكره الى النساء

القت احدى المجلات سؤالاً على قارئاتها وهو : اي شيء في الرجال اكره اليهن من كل الاشياء . فاجبن اجوبة مختلفة ولكن الصفات المذمومة التي اتفق اكثرهن على كراهتها في الرجال هي هذه « السكر . والاثرة . والدناءة . والخداع . والمقامرة . والجبانة

والادعاء . والكسل . والقساوة . وكتمان عيوبهم » وبودنا ان نعلم اي شيء في النساء هو اكره للرجال

دواء ناجع لازالة الناموس (البرغش)

يقاسي الناس احياناً في ليالي الصيف الحارة عناء شديداً من لسع الناموس . وقد ذكروا طريقة ناجعة لاخراجه من غرفة النوم . وهي ان تاخذ قطعة من السكر وتحرقها على جمرة فلا تنتشر رائحتها في الغرفة حتى يفر الناموس من النافذة لانه يكره هذه الرائحة فتقفل النافذة حتى لا يعود

او انك تاخذ قطعة من الكافور وتحرقها بتأنٍ على لهيب المصباح فلا ينتشر بخارها في الغرفة حتى يفر الناموس من النافذة فراره من الموت ولا يعود الى الغرفة ولو ابقيت نافذتها مفتوحة . ولكن حذار ان تقفل النافذة وتبقي بخار الكافور يملئها وانت نائم

حواس النساء

بحث احد العلماء في حواس النساء وحواس الرجال على سبيل المقابلة بينهما . واهم شيء ثبت له ان حاسة الشم في المرأة هي اعظم منها كثيراً في الرجل . ولا غرابة في ذلك فان المرأة تمرن هذه الحاسة بالروائح العطرة اكثر من الرجال ولكن رغبةً في انصاف بعض الشبان نقول ان حاسة الشم فيهم قد تكون مساوية لها في النساء وذلك لانهم يمرنونها مثلهن

الاستحمام بماء الزنبق

تصنع الجميلات الباريزيات من زهر الزنبق ماء للاستحمام به . ذلك انهن يقطفن في كل صباح من الحديقة قبل شروق الشمس ازهار الزنبق وهي ممتلئة بالندى ثم ينزعن منها الخيوط الصفراء التي فيها ويضعن الزهر مع نداه في اناء رقيق مكشوف ثم يغلين ماء على النار ويضعن هذا الاناء فيه بضع دقائق ويتركنه حتى يبرد . وبعد ذلك يصفين الماء من الزهر بنسيج رقيق فيكون لهن ماء زنبق . ثم يضفن الى هذا الماء ٤ غرامات من البورق ويأخذن اسفنجة ويمسحن بها وجوههن وابدانهن مسحاً للاقتصاد بالماء فيحسن هذا الماء البشرة وينعمها ويعطيها ريحاً طيباً ويزيل البقع التي تكون عليها . واذا اضفن الى هذا الماء شيئاً من الشهد الذائب اثر تاثيراً عظيماً في تحسين الجلد وتنعيمه

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

تربية البنات

اذا اردتم اصلاح الهيئة الاجتماعية
فاصلحوا النساء

أبنا في الجزء السابق في هذا الموضع من المجلة اهمية مقام المرأة في الهيئة الاجتماعية فثبت معنا يومئذ ان « الرجال يكونون كما تريد النساء » وانه يجب ان يكن عظيمات وفاضلات ليكون الرجال عظماء وفضلاء . فبناء عليه تكون تربية النساء اهم من تربية الرجال في الهيئة الاجتماعية

واذا كانت تربية النساء اهم من تربية الرجال فمن دلائل التاخر والانحطاط اهمال تربيتهن واعتبارها امراً ثانوياً ومن دلائل الاستمرار في هذا التاخر الاستمرار في هذا الاهمال

وليس من غرضنا الان تبيان وجوب تربية النساء فان ذلك اصبح امراً مسلماً وانما نود ان نشير الى اصول هذه التربية

ذلك اننا نرى ان كثيرين يحسبون انه يكفي لتربية النساء حتى الرجال ان تُنشأ المدارس بصرف النظر عن حالتها . ولذلك تراهم قد نعموا بالاً ورقصوا طرباً كلما فتحوا مدرسة . وهذا الامر فاش في مصر والشام وفي كل البلاد الشرقية . وسببه عدم معرفة الناس المهم من الاهم في مسائل التعليم والتربية . افترضوا اننا نفتتح في القاهرة او الاسكندرية او بيروت مائة مدرسة كل يوم اي ان يكون مجموع ما نفتتحه في السنة ٣٦٥٠٠ مدرسة ولم يكن في كل هذه المدارس الكثيرة واحدة تعلم تعليماً صحيحاً وتربي تربية صحيحة فما هي الفائدة منها كلها . فالامر المهم اذاً في التعليم والتربية حسن اختيار المعلمين الذين

يعرفون كيف يغرسون المبادئ العظيمة في نفوس الطلبة وحسن تاليف جدول الدروس « البروغرام » الذي هو بمثابة « الدفة » من المركب لانه يوجه عقول الطلبة ونفوسهم الى حيث يريد والمعلم هو الربان الذي يدير هذه الدفة

فعبثاً تحاولون النفع من هذه المدارس كلها ان لم يكن فيها معلمون يفهمون معنى التعليم ومعنى التربية · وهذا الكلام يُطلق على تربية الفتيان والفتيات معاً وقد اشرنا اليه هنا في عرض هذا البحث تمهيداً لما نريد ان نقوله في هذا الموضوع

واول ما نقوله ان تربية النساء عندنا ناقصة و يجب سد هذا النقص عاجلاً · والنقص في امرين الاول عدم وجود مدارس كافية لهن وعدم اقبالهن على التعلم والثاني اصلاح مدارسهن الموجودة

اما الامر الاول فلبس من ينكر اهميته عندنا ولذلك اخذ العاملون بفتح هذه المدارس تدريجاً · على ان البحث في الامر الثاني يتناول الامر الاول ولذلك نقول

اولاً ما هي وظيفة المرأة

الجواب ان وظيفتها أن تكون زوجة واماً · لهذا خُلقت في هذه الحياة لا لامر سواه · فتربيتها اذاً يجب ان تعلمها واجبات الزوجية والامومة

وواجبات الزوجية نحصرها في امرين · الامر الاول تدبير منزلها · فانه من الواجب عليها ان لا تدع خادمتها في المنزل تعرف من هذا الفن اكثر منها ولا ان تعمل فيه اكثر منها · ومن دلائل شرف المرأة ونشاطها ومعرفتها واجباتها ان لا تانف من الاعمال البيتية بل تسرّ بعملها كما انه من دلائل صغر العقل وانكار الواجبات التنازل عن تلك الاعمال كلها الى الخدم لغير ضرورة لا بدَّ منها · ولا يخلو من فائدة ان تعلم المرأة ان عظمتها متوقفة على نظام منزلها وحسن حاله وحال الساكنين فيه · فان هذا المنزل هو مملكتها الصغيرة فماذا يقول العقلاء في ملكة تهمل مملكتها او تتكل على غيرها في ادارتها وتدبيرها

والامر الثاني ارضاء الزوج وهو امر لا يقل عن الاول اهمية لان عليه مدار سعادة العائلة · ونحن الآن هنا تجاه مسالة كبرى وهي مسالة سلطة الزوج وسلطة الزوجة في العائلة · نعم ان النزاع في هذه السلطة قليل في بلادنا خلافاً لما يحدث في الغرب ولكننا نجد من الفائدة ان نشير الى اراء فلاسفة الغرب في هذا الموضوع على سبيل المقابلة · فانهم يقولون ان كل شركة وكل هيئة وكل حكومة يجب ان يكون فيها ادارة تتولى الاهتمام

والتدبير واعضاء يخضعون لها مقابلة اهتمامها وتدبيرها . والزواج شركة فيه الرجل عامل قوي خشن لانه مخلوق للعراك والزحام والمراة لطيفة نحيفة عملها في منزلها . الاول يكسب ويقوم باود العائلة والثانية تعطنه هذه العائلة . فمن الحق الطبيعي والناموس الاجتماعي اذاً ان يكون الرجل هو مدير العائلة . واذا كان الرجل هو المدير تحتمت الطاعة على المراة وصارت سلطته فوق سلطتها . بهذا النظام تقوم المنازل والا تنهدم ويتفرق من فيها ايدي سبا

فاذا كان هذا ما يقوله فلاسفة الغرب والمراة عندهم ارقى من المراة عندنا وجب ان يقال مثله على الاقل في حالة منازلنا . فالرجل اذاً هو صاحب السلطة في الظاهر وان كانت المراة في الحقيقة هي صاحبة السلطة في الباطن كما مرَّ بنا في العدد الماضي . فترتب عليها ارضاؤُه ليرضيها هو ايضاً

هذان الواجبان هما اعظم واجبات الزوجة . بقيت واجبات الام . وهي عندنا ثلاثة . الاول تربية اجسام الاولاد . والثاني تربية عقولهم ونفوسهم . والثالث القيام باودهم

اما الامر الاول فهو عمل هيجييني محض ولذلك يجب ان تُعلم الفتاة منذ صغرها في المدارس التي تتعلم فيها كيف يجب ان تكون تربية الاولاد نظرياً وعملياً . وما احسن ان يُبنى بازاء كل مدرسة للبنات ملجأ خيري صغير لاطفال الفقراء لتصرف فيه كل تلميذة ساعة او ساعتين من يومها تتعلم فيها عملياً تربية الاطفال وتنمي في نفسها الميل الطبيعي الذي فيها لتلك المخلوقات الصغيرة الجميلة التي سيمنحها الله منها

والامر الثاني عمل ادبي بسيكولوجي يقتضي معارف واسعة وخبرة وملاحظة وهو فن مستقل بنفسه بل هو الفن الاعظم الذي يسمونه فن التربية النفسية

والامر الثالث وهو القيام باود الاولاد يقتضي ان تكون المراة حين الحاجة نصف رجل لتكسب رزق اولادها حين الحاجة

هذه هي واجبات المراة في العائلة على وجه الاجمال . ولكننا نرى هنا بعض السيدات يحملقن ويقلن — ماذا ؟ اهذه اعمالنا فقط ؟ ايبلغ بكم الظلم ان تضعوا على ظهورنا النحيفة كل هذه الاحمال دون ان تاذنوا لنا بشيء يخففها ؟ كلا ايتها السيدات لا تقلن « ان تاذنوا لنا » فان ذلك من حقكن والحق مباح لا يقتضي اذناً . نعم من حقكن رئاسة المنزل والعائلة في بعض الاوقات رئاسةً عليا تكون فيها سلطتكن فوق سلطة الرجل نفسه . بل ان

ذلك من واجباتكن لانه عمل من الاعمال المنزلية المهمة

ونريد بهذا العمل تحبيب المنزل الى زائريه

اي نعم ان استقبال الزائرين واجب من الواجبات البيتية الجميلة وعمل لطيف نحيف مملوء شوكاً كما انه مملوء زهراً . اما الزهر فان السيدة تتصل بالعالم بواسطته وتتعرف بالناس وترأس مجالس الحديث في القاعات وتكون ملكة المنزل الحقيقية . ويا حبذا لو كان في الاستطاعة الآن نقل الفصل الجميل الذي كتبه الفيلسوف جول سيمون في كتابه « المرأة في القرن العشرين » بخصوص هذه المجالس وهذه القاعات ولكننا نكتفي بالاشارة . فانه قال فيه ان قاعة المراة هي مصدر التمدن في العالم اذا كانت قاعة حقيقية . والقاعة الحقيقية هي مجالس يأتيها اصدقاء المنزل وجميع من لهم علاقة بالزوج من الرجال وبالمراة من السيدات فيقطعون اوقاتهم — عفواً ايتها السيدة — لا بلعب الورق ولا بالازياء ولا بالكلام عن الناس ولكن بالمسائل المفيدة والمفكهة معاً من ادبية وسياسية وعلمية وفلسفية . فهناك يتنافس الرجال ليظهر كل واحد فضله في هذه الامور الفاضلة امام النساء وتتنافس النساء لتظهر كل واحدة معرفتها وادبها وفضلها امام الرجال . فتكون القاعات التي على هذا المنوال مدرسة سامية وَحكماً عظيماً في الذوق وفي كل الامور . القاعات حينئذ ترقي الى مرتبة الوزراء . القاعات ترفع الى عضوية الاكاديمي . القاعات تنشر شهرة كل مستحق وتقاص شهرة غير المستحق . وفيها السيدات ملكات جالسات على عرش الادب واللطف والظرف يرئسن الحديث فيها واذا خرج واحد من الرجال في حركة او اشارة او كلمة عن حد الادب او الحشمة فان الواحدة منهن على لطافتها وضخامته وضعفها وقوته قادرة على ارجاف قلبه في صدره بكلمة واحدة ونبذه من الهيئة باشارة واحدة

هذا هو الزهر الذي تجده المراة في هذه المجالس . وهو يقتضي ان تكون عارفة باساليب الحديث تعطي كل ذي حق حقه ولا تترك احداً يملّ في قاعتها . وهذا امر لا يجب تعليمه في مدرسة لانه طبيعي في المراة كما لا يخفى

واما الشوك فانه مؤلم وذو خطر عظيم . ونعني هنا بالشوك تلك التجارب التي تعرض للمراة في خلال هذه المجالس فان كل الناس ليسوا من سوء الحظ ادباء كرام النفوس بل ان كثيرين منهم يتخذون هذه الزيارات والمجالس حبائل للاقتناص . وانت تعلم ما هذا الاقتناص . فبازاء هذا الخطر العظيم على راحة العائلة وفضيلة المراة يجب ان تربى المراة تربية خصوصية تقيها هذا الخطر وذلك بايقافها على اخلاق الرجال وتدريبها بدرع

الفضيلة والدين والادب ومعرفة الواجبات

والآن هل تمت واجبات المراة بعد ما ذكرناه منها او بقي منها شيء

اذا كان المراد التفاصيل فقد بقيت اشياء لاننا هنا نشير الى امهات المسائل اشارة فقط . واذا كان المراد هذه الامهات فاننا نرى انه لم يبقَ الا مسالة واحدة . ولكنها من اهم المسائل النسائية

وهذه المسالة هي : هل يجب ان تبقى المراة داخل البيت ام يجب ان تخرج منه للعمل كالرجل

فنجيب على الفور ان المراة قد خُلقت لتكون زوجة واماً . زوجة واماً قبل كل شيء و بعد ذلك يأتي ما بقي . ومقام الزوجة والام هو في المنزل فعلى المراة ان تبقى ملازمة منزلها لزيادة النسل وتربيته وغرس الفضائل البيتية فيه لنشرها منه في العالم

هذه حقيقة يؤيدها جميع انصار النساء الحقيقيين وكل محبي خير الهيئة الاجتماعية . ولكن لدينا مسالة مهمة تتفرع منها . وهي: ان امراة خضعت للناموس الطبيعي والالهي القاضي بان يكون عمل المراة داخل المنزل وعمل الرجل خارجه فتزوجت واقامت تربي اولادها فرزقت ستة منهم . ثم في يوم من الايام وهي مطمئنة الخاطر باسمة الثغر هبت على منزلها احدى زوابع الاقدار الهائلة السوداء التي طالما هبت على المنازل فكسرت قلوباً ونغصت عيشاً وسودت حياة وخربت عماراً فمات زوجها ولم يترك من يعولها ولم يخلف لها سوى اولاد صغار على يديها الضعيفتين . فماذا تصنع حينئذ

لا خلاف في انه يجب عليها حينئذ ان تشمر عن ساعد النشاط والهمة و براس مرفوع عظمة كانها تناطح الاقدار التي تدلت عليها لسحقها تقوم الى العمل بشرفٍ وجدٍ لتكسب خبزها وخبز اولادها بعرق جبينها . فعلى المراة اذاً ان تكون مستعدة للعمل اذا انتدبتها العناية الالهية له متى انهدم سندها . و يجب عليها ان تضع هذا الامر دائماً نصب عينيها . وهي مسالة خطيرة توجب الاهتمام بتعليمها عملاً تعمله يكون منطبقاً على استعدادها النسائي وذوقها ومواهبها . وجميع فلاسفة العالم يجيزون عمل المراة حتى خروجها من البيت لهذا العمل في حادثة كهذه الحادثة

هذه اهم واجبات النساء في الهيئة الاجتماعية . فلننظر الآن ماذا تعلم مدارس البنات منها . وسنبحث في ذلك في مقالة تالية

ولكن قبل ذلك لا بدلنا في ختام هذا المقال من الاشارة الى اهمية الامور التي مرّت بنا

والتصاقها بالنساء دون سواهن . فان تدبير المنزل وتلطيف معيشة الزوج فيه وتربية الاولاد التربية البدنية والادبية ورئاسة العائلة في ايام الاستقبالات العائلية لتحبيب المنزل الى الزائرين وادارة الحديث ومراقبته لئلا يُقال فيه ما لا يجب ان يُقال في منزل سيدة — كل هذه امور من شان المرأة والرجل لا يستطيع ان يعمل منها شيئاً . فيا لجهالتنا وتعاستنا اذا اهملنا تعليم المراة اياها . يا لشقائنا وشقاء اولادنا من بعدنا اذا تركنا النساء بلا علم ولا ادب ولا فضيلة تقودها بين صخور هذه الحياة الهائلة . اتعرفون ما هي المراة . كلا انكم لا تعرفونها وان كنتم ترونها كل يوم . المراة مخلوق يمرُّ امامكم ضعيفاً نحيفاً باسم الثغر او مبهوتاً ولكن بين جنبيه قلباً لا يعرف عمقه الا الله ونفساً متسعة اوسع من الفضاء لتناقض الاميال التي فيها . وهذه الاميال تتجاذبها وتتقاذفها كما تتقاذف الامواج في البحر زورقاً صغيراً فوقها . افتسلمون الزورق للامواج تذهب به كل مذهب وتطرحه على الصخور فتكسره ام تضعون فيه « دفة » وربانًا لايصاله بامن وسلام الى برّ السلام . وهذه الدفة وهذا الربان هما المعرفة والضمير . المعرفة التي تنير الضمير والضمير الذي يدير المعرفة . ونعني هنا بالمعرفة المعرفة الادبية التي تُري المراة انها اذا لم تكن فاضلة فانها تكون تعيسة محتقرة مهما كانت جميلة . المعرفة باصول تربية اولادها وتدبير منزلها . المعرفة باخلاق الرجال لارضاء رجلها واجتناب اشراك سيء الادب من الرجال . المعرفة التي تجلو عن النفس غياهب الجهل وتعلمها كل فضيلة وتدنيها من ابواب السماء . المعرفة عدوة الظلمة وصديقة النور . عدوة التوحش وصديقة التمدن . عدوة الضلال وصديقة الحقيقة . عدوة الرذيلة وصديقة الفضيلة . هذه هي المعرفة التي نعنيها هنا . فوا اسفاه عليكم وعلى هيئتكم الاجتماعية اذا كنتم لا تعطون النساء هذه المعرفة

﴿ تمثال للفيلسوف جول سيمون ﴾

عزم الفرنسويون على انشاء تمثال لفيلسوفهم الكبير استاذنا العلامة جول سيمون وقد زار رئيس مجلس الشيوخ المسيو فاليير حضرة ارملة الفيلسوف في الشهر الماضي وعرض عليها رسم التمثال . وهو يمثل الفيلسوف واقفاً في منبر كلية السوربون يخطب ويداه مطويتان على صدره وهي أجمل وقفاته في موقف الخطابة . وسينصبون التمثال في ساحة « مادلين » امام المنزل الذي كان يسكنه في حياته وفيه كتب اكثر كتبه الجميلة . وسناتي في حينه على رسم التمثال وما يقال في هذا الشان

باب الاخبار العلميّة

(* النقب في اثار اشور *) نقب العلماء اخيرًا في اثار اشور في قرية عثمانية تدعى سيبزرانا فوجدوا فيها مائة وخمسين قبرًا قديمًا فيها عظام بشرية وهيا كل خيل وفؤوس وخناجر وزينات من حديد ونحاس وفضة · ووجدوا ايضًا في بعضها قطعًا من النقود الفضية منقوش عليها باللغة العربية سنة ٧٢٣ هجرية

(* البرنيطة تسلم من نفسها *) اخترع احد الاميركيين آلة صغيرة توضع في باطن القبعة التي يلبسها الاوربيون فاذا اراد احدهم التسليم على عشرين صديقًا في طريقه اكتفى بان يحني راسه فتنقلب الموازنة في تلك الآلة فترتفع قبعته للتسليم عليهم من تلقاء نفسها دون ان يمد يده اليها ويتكلف عناء رفعها كل حين

(* نبات غريب *) في زيلانده الجديدة نبات يسمونه باللغة العلمية "كلوزيا" وباللغة العامية "خانق النبات" وذلك لان الطائر اذا اتى ببذر منه ليأ كله على شجرة علقت احد البذور في غصن الشجرة ونبتت فيه ثم اخذ جذرها بالتدلي الى الارض حتى يبلغها ويغوص فيها ولا يزال يكبر ويمتد وينتشر ممتصًا الغذاء من اصول تلك الشجرة نفسها حتى نقوى جذوره على جذورها فتموت الشجرة الاصلية ويبقى هذا النبات مكانها

(* دواء للافيون والحشيش *) يقول الدكتور اوتومريش من بادن بادن انه اخترع دواء يُكره الافيون الى شاربيه · وهو سائل ياخذ منه الشارب نقطتين او ثلاثًا قبل كل وقعة طعام فيصبح اذا شم رائحة الافيون اشمأزت نفسه منه · نقول والدواء الذي نجع في الافيون لا يبعد ان ينجع في الحشيش لانهما صنوان وفرسا رهان · وفي هذا المقام نقول ايضًا انه بالنظر لشروع الاطباء في التفتيش عن مصل يمنع السكر بالافيون او بالاشربة الروحية كما ترى في هذا الخبر وفي ما تقدمه من الاخبار التي رويناها قبلاً فغير بعيد ان يصير التلقيح بمصل المسكرات بعد قليل امرًا الزاميًا كالتلقيح بمصل الجدري وهي الطريقة الوحيدة لمنع آفات المسكرات منعًا عامًا حقيقيًا · ولكن المهم الآن ان يجد الاطباء ذلك المصل فاذا وجدوه احسنوا الى الانسانية كلها

(* هل كان المتقدمون يدخنون *) قال جورنال الهيجيين نقلاً عن « جنتيلمن ماغازين » ان المتقدمين كانوا يدخنون ورق الخس المجفف بالطريقة التي يدخن بها المتاخرون التبغ ومما يؤيد ذلك ان بعض كتابهم اشار بتدخين الخس لانه مخدر ومريح للاعصاب في الليل . وقد وجدوا في آثار بومباي رسوماً تمثل الرومانيين جلوساً وفوقهم سحب من الدخان المنبعث عن القصبات التي في ايديهم يدخنون بها

(* اصل لعبة البليباردو *) نشرت البريتش موزيوم كتاباً مؤرخاً في سنة ١٧٥٠ مفاده ان لعبة البليباردو قد وُضعت في القرن السادس عشر وواضعها رجل يُدعى وليم كو . وسبب تسميتها « بلياردو » ان هذا الرجل في كل مساء بعد انتهاء اعماله كان ياتي بثلاث كرات ويضعها على مائدة امامه ثم يجعل يتقاذفها بمقياس في دكانه يُدعى « يرد » ومعلوم ان الكرات تُدعى « بيل » فصاروا يسمونها « بيل يرد » اي كرات اليرد

(* هل ينفع النوم بعد الظهر *) اعتاد كثيرون النوم بعد الظهر وهو ما يسمونه القيلولة ولكن الاطباء اختلفوا في منفعة ذلك . فقال بعضهم ان النوم حينئذٍ يخبل الجسم ويجعله كسولاً وقال بعضهم بل يريح الجسم ويمده بنشاط جديد . والذي اجمع عليه العارفون ان النوم ١٥ او ٢٠ دقيقة بعد الاكل نافع ولكن اذا طال النوم زال النفع

(* اكرام الصينيين للزراعة *) يوجد في الصين عيد يسمونه عيد الزراعة يرئسه الامبراطور نفسه فيأخذ محراثاً ويحفر به ثلمين في الارض على سبيل الاكرام للزراعة . واجمل من ذلك انه يوجد في داخل القصر الملكي الصيني قطعة ارض مخصصة بزراعة التوت وفي اوقات معينة تقصد الامبراطورة هذا المكان مع اشهر نساء البلاط فيخفضن لها اغصان التوت فتقطف الامبراطورة بيدها الورق وتوزعه على دود الحرير ويقيمون هذا الاحتفال تذكاراً لاكتشاف دودة الحرير في الصين فان احد الامبراطورات اكتشفت هذه الدودة في سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد المسيحي كما يزعمون . وكان من شان هذا الاحتفال الذي تقيمه الامبراطورة في كل عام لاكرام التوت والدود انه نشر زراعة الحرير في الصين كلها فصار الصينيون يلبسون ملابس حرير بدل ملابس الجلود القديمة

(* معالجة المرضى بالهواء السائل *) جُرب في مستشفى نيويورك معالجة الجروح

بالهوا السائل فكان الهواء يميت اللحم المصاب الذي حول الجرح و يقتل ما فيه من الميكروب فيشفي المريض شفاء عاجلاً . ولكن اذا اصاب الهواء اللحم غير المصاب احدث ضرراً

(* لغة جديدة بالصفير *) عاد رحالة الماني من جزائر كناري فروى انه راى فيها الاهالي يستعملون على بعد ١٥٠٠ او ١٨٠٠ متر من بعضهم البعض لغة خصوصية بالصفير فيتفاهمون كما لو كانوا يتخاطبون بالكلام وهم يقولون في هذه اللغة كل ما يريدون قوله

(* تجارة الضفادع *) يقدرون عدد الضفادع التي ترسل في كل اسبوع من بلجيكا الى باريز لاتخاذها طعاماً ٣٠ الف ضفدعة . واما صيدها فتارة يكون بالاشراك وطوراً بالصنارة . ذلك ان يعلقوا بها قطعة صغيرة من نسيج احمر و يلقونها في البحيرة فتحسب الضفدعة القطعة الحمراء قطعه لحم فتنطرح من شراهتها لا كلها فتؤخذ

(* مادبة في قعر البحر *) اقام الكابتن لسيك مخترع الغواصة الاميركية "ارغونوت" مادبة لبعض اصدقائه في قعر البحر ذلك انه ركب بهم غواصته وغاص بها من بريدبورت في جنوبي لون ايسلاند ثم مُدت المائدة وجلس معهم يأكلون في جوف البحر حتى قطعوا عدة اميال وهم في اتم سرور . فما اجمل هذا السفر اليوم في هذا الحر

باب التقريظ والانتقاد

(* تقدمة الشكر *) اهدت الينا الجمعية الخيرية الارثوذكسية السورية في الاسكندرية ميزانيتها السنوية عن سنة ١٨٩٩ فجاء فيها بعد المقدمة المفتتحة بشكر الذين احسنوا اليها والترحم على المرحوم السيد صفرونيوس البطريرك الاسكندري السابق ان ايرادها قد بلغ ٥٣٨٧١ غرشاً ونفقاتها ٥٧٣٣٩ غرشاً هذا عدا ما في صندوق الجمعية من الاوراق المالية وقيمتها ٢٢٠ جنيهاً

وقد سحبت هذه الجمعية في هذا الشهر يانصيبها السنوي التي اعتادت انشاءه في كل عام لفائدتها بعناية جناب رئيسها الهمام جزاه الله مع سائر اعضائها المجتهدين خير جزاء لما يبذلونه من الهمة في سبيل البر والاحسان

﴿ الجمعية الخيرية الارثوذكسية في يافا ﴾ انشأت الجمعية الخيرية الارثوذكسية في يافا يانصيباً لفائدة الفقراء ووزعت من اوراقه على الطوائف الارثوذكسية في مصر والشام وقد اقبل المحسنون على ابتياع هذه الاوراق اشتراكاً معها في هذا السبيل الخيري جزاهم الله جميعاً خير الجزاء

﴿ الخزانة ﴾ صدر الجزء الاول من مجلة الخزانة لصاحبها حضرة الفاضل الشيخ يوسف الخازن . وهي مجلة شهرية في السياسة والادب توخى منشئها فيها جمع اقوال الكتاب المجيدين في هذين الفنين ولذلك كانت الخزانة معرضاً صغيراً جميلاً لاقلام الكتاب الذين يعرضون بضائعهم فيها . على انها كلها بضاعة مختارة تدل على حسن ذوق ورغبة في افادة القراء وتفكهتهم

وهي ابواب منها في السياسة وتاريخ الاعلام وحديث اليوم ومقتطفات المجلات وفي ذيلها رواية . وهي مطبوعة طبعاً جميلاً على ورق جيد وقيمة اشتراكها مائة غرش صاغ في السنة

والخزانة مع حداثة عهدها لا ينقصها سوى بعض المباحث العلمية المفيدة التي لايجدر ان تخلو منها مجلة يُعانى في طبعها وترتيبها واتقانها ما يُعانى في الخزانة . فنحن نتمنى لها كل نجاح وانتشار ونثني على صاحبها البارع الذي اتحف اللغة العربية بمجلة جميلة كالخزانة

﴿ المجلة المصرية ﴾ المجلة المصرية مجلة نصف شهرية علمية ادبية اقتصاديه قضائية لصاحبها حضرة الكاتب الفاضل خليل افندي مطران ويديرها حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود ويشترك في تحريرها بعض اكابر الكتاب . وهي تبحث في كل المواضيع المفيدة من التجارة ولاقتصاد والتاريخ والزراعة والادب ويحليها جناب شوقي بك شاعر مصر المجيد بشيء من شعره

والمجلة المصرية على حداثة عهدها قد تقدمت تقدماً يشهد لصاحبها ومديرها بطول الباع وحسن السعي واذا استمرّ التحسن فيها كما نراه في كل جزء منها بالنظر الى سابقه بلغت المجلة المصرية شأواً بعيداً

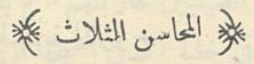
لكن ما قلناه لرصيفتها الخزانة نقول عكسه لها . فان الجمع بين الفائدة واللذة امر لا بدّ منه في المجلات والجرائد التي تُلقى بين ايدي الناس لاختلاف عقولهم وتباين اذواقهم والا فاذا ارضت المجلات والجرائد فريقاً اغضبت فريقاً

هذا واننا نتمنى للمجلة المصرية مستقبلاً واسعاً بهمة حضرة صاحبها ونرجو ان ينتفع قراء اللغة العربية بها

* الصبا * جريدة اسبوعية ادبية سياسية فكاهية لصاحبها ومحررها جناب الأديب احمد افندي عبدالله حسين . وقد وصلنا مع العدد الاول منها ان صاحبها قد تبرع بالف نسخة من رواية « شرف الامانة وعاقبة الخيانة » اعانة للسكة الحديدية الحجازية فنثني على اجتهاده وغيرته

* قصة يوسف بك كرم * قصة موضوعة على نسق الروايات العامية لتقريب موضوعها من الافهام وضعها حضرة الكاتب المجيد نعوم افندي مكرزل منشئ جريدة الهدى الغراء في فيلادلفيا من اعمال الولايات المتحدة واودعها خلاصة تاريخ المرحوم يوسف بك كرم وزينها برسوم كثيرة فجاءت قصة تحلو مطالعتها وتبث الشجاعة في نفوس قرائها . فهي عندنا من هذا الوجه خير من القصص العامية التي يتداولها العامة ويسمونها بالقصص الهلالية . وقد وعد جناب واضعها الفاضل بانه عازم بعد هذه القصة الفكاهية على وضع كتاب جدي كبير فنثني على اجتهاده وندعو له بالنجاح

باب الاسئلة والاجوبة



* المحاسن الثلاث *

(ابو نجاح) احمد افندي الصراف ملاحظ بوليس ابو نجاح

جاء في الصفحة ١١٨ من « الدنيا في باريز » لحضرة احمد بك زكي ما نصه في وصف ساعة تحيط بها ثلاثة تماثيل تُعرف عند الافرنج بالمحاسن الثلاث

وكل واحدة من المحاسن واقفة بهيئة مخصوصة تسحر العقول » فارجو افادتي ما هي هذه المحاسن

﴿ الجامعة ﴾ يسمون « المحاسن الثلاث » ثلاث الهة معروفة عند قدماء اليونان باسماء « افروسينا وتاليا واكلايي » وكانوا يعبدونها في عدة جهات وبها يرمزون الى الجمال النسائي وانواعه فكل واحدة منها تمثل نوعاً من الجمال . ومن مزاياها عند اليونان انها قادرة على تخفيف تاثير الملاذ في النفوس فاذا كانوا على مائدة وافرطوا في الشرب والاكل صبوا ثلاث كؤوس على الارض اكراماً لهذه الالهة وفي ذلك حكمة ظاهرة وهي تخفيف هذه الكؤوس عن معد الشاربين . وهم يرسمونها ثلاث فتيات في منتهى الظرف وغاية الجمال تارة واقفات وكل واحدة منهن آخذة بيد الاخرى وطوراً منفردات بيد الاولى وردة والثانية نرد والثالثة غصن آس

﴿ امرأة قايين ﴾

(سان كارلوس . برازيل) ابرهيم افندي ١ .

لما قتل قايين اخاه طرده الله من امام وجهه وجعل له علامة لكل من رآه ان لا يقتله . ثم انه اخيراً عرف قايين امراته فحبلت وولدت حنوك فمن اين اتت هذه المرأة

﴿ الجامعة ﴾ لا نعلم . ونشير عليكم بان تصرفوا فكركم الى غير هذه المواضيع التي قلما تفيد الباحث فيها شيئاً فضلاً عن ان البحث فيها تاريخياً امر متعذر لقدم عهدها والتخمين ليس من شان الباحثين

﴿ اسئلة ﴾

(الاسكندرية) احمد افندي علي سعد بقلم الفواتير بجمرك اسكندرية

(١) هل مياه المطر ضارة او نافعة

(٢) هل تضر الالعاب الجسدية المتزوج

(٣) ما انفع اصناف الثلج وكيف يجب تناوله

(٤) لماذا يطفىء التراب زيت البترول ولا يطفئه الماء

﴿ الجامعة ﴾ (١) جواب سؤالكم الاول ان مياه المطر تكون نافعة في مدينة كالاسكندرية ليس فيها مياه نقية هذا على شرط ان تكون الصهاريج نظيفة كل النظافة ولا ينبغي الشرب من ماء المطر اول نزوله في اوائل الشتاء لانه ينزل معه شيئاً من

الميكروبات المنتشرة في الهواء

(٢) الالعاب الرياضية نافعة للشبان والاولاد ومضرة للكهول والشيوخ

(٣) انفع اصناف الثلج الصنف الذي يُصنع من ماء نقي ولا ينبغي ان يؤكل ولا ان يُذاب في الماء بل ان يبرَّد به الماء تبريداً في « الثلاجة » من الخارج

(٤) يطفئ التراب زيت البترول المشتعل لانه يمنع الهواء عنه وكل نار يُمنع عنها الهواء تنطفئ · ولا يطفئه الماء لانه لا يمنع الهواء عنه بل ربما زاده هواء فيزيده اشتعالاً

﴿ الاقتصاد السياسي ﴾

(الاسكندرية) احد القراء

ما هو افضل كتاب عربي في الاقتصاد السياسي ومن اين نطلبه

﴿ الجامعة ﴾ اذا شئتم مطالعة شيء في هذا الفن فطالعوه في اصله باللغات الاجنبية لاننا لا نعرف كتاباً عربياً يمكنكم الاعتماد عليه في هذا الموضوع · ولعلكم تجدون به بعض المقالات المتفرقة في المجلات العلمية او بعض الكتب

الترانسفال ظالمة ام مظلومة

في الصين

وكان نزول الرئيس كروجر بحفيده و بالونه على سور الصين و وراءه البيون وفالي فلما اشرفتا على هذا السور العظيم قالت فالي لالبيون ان هذا السور يا اختي يثير في النفوس تذكارات قديمة · يُذكرنا اولاً عاطفة حب البقاء في الامم لان هذا السور قد بني لمنع البرابرة من الوصول الى الصينيين لمحاربتهم · ثم يذكرنا ان الدول تدول فان الصينيين الذين سبقوا امم العالم في حلبة التمدن اصبحوا اليوم فريسة تختبط بين اظفار اوربا في هذا الزمان · ويذكرنا ايضاً ان البشر في هذه الهيئة الاجتماعية خُلقوا للتضامن والتكافل والاجتماع لا للانزواء والانفراد وراء الاسوار بدليل ان الاوربيين لم يمنعهم هذا السور الهائل نفسه من دخول الصين · وكيف تقوى الاسوار مهما كانت عالية وسواء كانت مادية او غير مادية على الوقوف في وجه تيار التقدم ناموس الكون ونظام الوجود الذي يجرف كل ما في طريقه ان لم يحد منه من تلقاء نفسه · فمثل هولاء الصينيين في

اقامة سورهم هذا لمنع الناس من دخول بلادهم مثل الاولاد الصغار الذين يبنون على شاطئ البحر حواجز من الرمل لمنع البحر ان يجري الى الشاطئ

فقالت البيون تشبيهك جميل مثلك يا اختي . وانا اشبه تشبيهاً آخر . وهو ان الشعوب التي تطلب الانفراد عن الانسانية مثل الصينيين لا تنجح اكثر منهم سواء طلبت ذلك ببناء الاسوار حولها او بوضع تعاليم تقضي بعزلتها . لان الحواجز غير المادية تسقط كالحواجز المادية امام سير التقدم العظيم . ويكون مثل هذه الشعوب حينئذٍ مثل تلميذ يطلب الوحدة عن باقي الرفاق لانحراف في صحته يغير مزاجه ويؤثر على افكاره فيأتيه الطبيب ليجبره على معاشرة الناس ترويحاً لنفسه وتلافياً لعلته

وكان الرئيس كروجر قد نزل حينئذ على السور وهو آخذ بيد حفيده فنزلت البيون وفالي على مقربة منه . فاخذ الشيخ كروجر يسير بحفيده على سطح السور سير المتفرج الذي يروقه ما يشاهده من الآثار القديمة . وبعد هنيهة قال الفتى . اين بكين التي قصدناها ياجدي

فقال الشيخ . ما حاجتنا ببكين اذا كانت صاحبة بكين ههنا . فانني عالم بان للامبراطورة قصراً صغيراً ضمن هذا السور تأتيه احياناً للتسلي فيه ولا سيما في اوقات ضجرها

وما اتى الشيخ على آخر كلامه حتى سُمعت جلبة اصوات فالتفت الشيخ وقال لعلنا قد وصلنا

واذا به امام قصر داخل في السور غير بارز عنه كانه قطعة منه . ومنه صاعدة جلبة كثيرة . فتناول كروجر حصاة من الارض ورمى بها احدى النوافذ التي تحته . فلم تنقضِ دقيقتان حتى خرج جندي صيني مهرولاً . ولكنه لما ابصر الشيخ كروجر وقف مبهوتاً مدهوشاً ثم هرول ثانية داخلاً الى القصر

فابتسم الرئيس كروجر . وبعد دقيقتين ايضاً خرج ثلاثة جنود ولكن خروج رسول مطمئن يذهب ليستقبل لا ليستخبر . فاشاروا للرئيس كروجر باحترام ان ينزل فعلم الشيخ كروجر انهم عرفوا في القصر بمجيئه فكرَّ نازلاً

واما البيون وفالي فكانتا كلهما اعيناً ترى هولاء الصينيين وبعد تاملها برهة قالت فالي — انظري عمنا كروجر النازل من السور الى الصينيين يا اختي فانه متى التقى بهم التقى التمدن الجديد بالتمدن القديم

فقالت البيون نعم ولكن كم من فرق بين الفريقين . ان تمدن كروجر نبتة جديدة

خارجة من ارض افريقيا المخصبة بقوة عظيمة · بكر عذراء عارية عن ادران التمدن ومفاسده · واما تمدن الصينيين فانه شجرة قديمة نابتة في ارض اسيا التي نفدت خيراتها وجفت مادتها وهذه الشجرة قد نخرها سوس الانحطاط والضعف فاصبحت في الحالة التي ترينها فيها

ثم وصل كروجر الى الصينيين ويده في يد حفيده فانحنوا امامه مسلمين ودخلوا به الى القصر فوثبت البيون وفالي وثبتين من احدى النوافذ فسبقتاه اليه

ولما ادخلوا كروجر ادخلوه الى قاعة فسيحة جميلة ولكنها غريبة هائلة · فقد كان حول الجدران على الارض حيوانات مربوطة بالجدران باذنابها بين نمر وثعلب وفيل ودب وثور وما اشبه · ومن السقف تتدلى مخلوقات هائلة مربوطة به باذنابها ايضاً · افاعي وحيات تتمايل في سقف ذلك المكان كانها اغصان تحركها الرياح

فنظر كروجر هذا المنظر وهو ثابت الجأش اما الفتى الصغير فمع انه ربي في الترانسفال في الخلاء وسمع غير مرة زئير الاسد الافريقي وفحيح الافعى فانه اقشعر جلده ولكن لم يظهر الخوف في وجهه · ثم ذهب التاثير الاول فعاد اليه سكونه واصبح يبتسم لتلك المخلوقات الهائلة التي كانت تعجُ وتتمايل وتضطرب فوقه وحوله

وهكذا عجز التمدن القديم عن اخافة التمدن الحديث بفضل التربية الطبيعية البدوية التي ترباها ابن هولانده في افريقيا : ولكن تصوَّر ان بعض المترفهين المتمدنين الذين عاشوا في القصور الباذخة بين الحشم والخدم والاستبرق والحرير لا تراهم الشمس ولا يمسهم النسيم قد دخلوا دخول كروجر وحفيده الى هذه القاعة الهائلة · اما كانوا يُصعقون لحينهم عند مشاهدة مناظرها او يفرون واقدامهم تسبق رؤوسهم

فيا لفساد تربية الترف الحاضرة · ويا ما يبعد الانسان عن طبيعته ويخرج عن الدائرة التي وُضع فيها · نحن الآن يخيفنا اقل الامور · العصفور اذا مرَّ في الهواء على بغتة · الانسان اذا خاطبنا على حين فجأة · الهرة او الكلب اذا مرَّ امامنا · فاذا كنا قد اصبحنا ترتعد فرائصنا لرؤية هذه المخلوقات الحيوانية التي هي رفيقتنا في الحياة اتحسبون انه لا يأتي وقت نصبح فيه نخاف ان نرى بعضنا بعضاً

بلى وقد أتى هذا الوقت · انظر الى المسافر في الغاب او في شوارع المدينة في الليل واحياناً في النهار فانه يتلفت خوفاً ليرى اذا كان لا يفاجئه اخوه اي انسان مثله لقتله وسلب ماله · انظر الى الواقف امام الحاكم الكبير او الصغير فانه يرتجف امامه كقصبة

تحركها الريح . انظر الى الناس في معاملاتهم ومعيشتهم فان صغيرهم يخشى دائماً شر كبيرهم . انظر الى الامم فان صغيرها لا يرتعد فقط خوفاً لدى كبيرها بل يفنى فيه كما يفنى الجزء في الكل . هذه الترانسفال تقتلها انكلترا الآن وتدوس حريتها . هذه الفيليبين تحاول اميركا اخضاعها . هذه الصين تهاجمها اوربا لارهابها . كل هولاء بشر وكلهم يخشون بعضهم بعضاً . فما معناك اذاً ايها الاخاء البشري . ما معناكِ ايتها المحبة . اين انتِ ايتها العدالة . ياحاملة السيف وغصن الزيتون . على مَ تريننا السيف كل يوم ولا تريننا غصن السلام مرة . بل اريتنا اياه في مؤتمر لاهاي ولكن وا اسفاه يوماً واحداً كما يُرى البرق في الغمام

هكذا كان يقول كروجر في نفسه وهو خارج من قاعة الحيوانات الى القاعة التي كانت تنتظره فيها صديقته « سي تاي هو » امبراطورة المملكة الصينية (ستاتي البقية)

تاريخ الاسبوعين

☀ الاسطول العثماني ☀ اوصت الحكومة العثمانية معامل المانيا لصنع ٧ طرادات حربية جديدة . واتفقت مع معامل كروب الالمانية دون معامل ارمسترنغ الانكليزية التي كانت تزاحمها على تسليح المدرعات العثمانية الثاني التي اصلحتها في جنوى

☀ الحوادث الخارجية ☀ اطلنا الكلام في هذا الجزء عن ايطاليا وملكها همبرت الاول الفقيد وملكها عمانوئيل الثالث الحالي فلا حاجة بنا الى العودة اليه في تاريخ الاسبوعين ولكن مما نذكره عن هذه الجناية ان بوليس ايطاليا قد تهاون في حراسة همبرت الاول ومراقبة بريسي القاتل . فان احد رجال البوليس في باريز قال انه لما مرَّ بريسي في باريز عائداً من اميركا نبه بوليس باريز بوليس ايطاليا اليه لانه فوضوي شهير فلم يراقبه المراقبة اللازمة . ويظهر من مطالعة الجرائد الاخيرة ان مقتل ملك ايطاليا قد خفف شيئاً من تطرف الاحزاب المتطرفة فيها فكان ذلك داعياً الى تحسين الحالة السياسية العامة في ايطاليا هذا اذا لم تعد اليها الزوابع الماضية بعد ذهاب تاثير الحادثة . وقد اظهر الملك الجديد

في المنشور الذي نشره بمناسبة ارتقائه الى عرش الملك انه سيحافظ على الدستور والحرية ٠ ولهجة المنشور معتدلة ولا تحتوي شيئاً مما خيف ان يكون فيها اولاً من اضطهاد الاحزاب المتطرفة

وقد كادت تحدث ايضاً في الشهر الماضي جناية اخرى من هذا القبيل فان عاملاً فرنسوياً يدعى سالسون ترك عظمة شاه ايران سائراً في مركبته من قصره في باريز الى المعرض فهجم على المركبة وبيده مسدس لقتله ٠ فقبض الصدر الاعظم على يد المعتدي حتى حضر البوليس وساقه الى السجن ٠ اما سبب عدم انطلاق الرصاص من المسدس فهو ان سالسون كان في عشية ذلك اليه قد حدد رأس الآلة التي تضغط على الرصاصة لاطلاقها وذلك رغبة منه في زيادة تاكيد الانطلاق ٠ فمن حسن الحظ ان الآلة حين ضغطه عليها باصبعه لم تصب وسط الخرطوشه ولكن طرفها فلم تنطلق

هذا اهم ما جرى في الشهر الماضي من هذا القبيل ٠ اما حرب الترنسفال فانها لا تزال مناوشات والبوير يزدادون ضعفاً والانكليز تقدماً يوماً فيوماً ٠ واما حرب الصين فان جنود الدول قد زحفت الى بكين لانقاذ السفراء اذ رفض هولاء السفر من بكين الى تيينتسين الا مع جنودهم خوفاً من الجنود الصينية وثوارهم ٠ فدخلت بكين في ١٥ الجاري وانقذت السفارات ففرت الامبراطورة مع اعداء الاجانب من العاصمة ٠ وقد انزلت انكلترا جنوداً الى شنغاي فثار ثائر الدول لهذا الصنيع خوفاً ان تحتلها دونهن ٠ وعين المارشال والدرسي الالماني قائداً عاماً للجيوش الاوربية في ولاية بتشيلي وهي الولاية التي منها بكين ٠ ولعل سبب تعيين هذا القائد المانياً اختلاف روسيا وانكلترا على القيادة ٠ والظاهر ان حكومة الصين قد ندمت على ما صنعت ٠ ولكن لات ساعة مندم

ومن اهم الحوادث الخارجية في هذا الشهر ان ملك سربيا تزوج بمدام ماشين وهي امرأة كانت من نساء شرف امه الملكة ناتالي فسخط ابوه ميلان لانه لم يتزوج باميرة وسافر من سربيا ٠ ولعل الملك قد فعل ذلك اسخاطاً للملك ميلان رغبة في التخلص منه استمالة لروسيا

صدور الجامعة — تأخر صدور هذا العدد الى اواسط اغسطس بسبب سفر مدير المجلة الى سوريا لقضاء قسم من فصل الصيف فيها مع حضرة والدته · وبناء عليه اصبحت الجامعة تصدر في منتصف كل شهر بدل اوله لتعويض الايام التي فاتتها

(وفيات)

(نسيم بشور) نعي الينا من برج صافيتا المأسوف عليه الطيب الاثر المرحوم نسيم بشور نجل المرحوم تامر بشور الشهير · توفاه الله اثر داء عياء فكان لوفاته دوي شديد في نفوس معارفه لما امتاز به رحمه الله من الصفات التي حببته الى القلوب · وقد بعث الينا احد الاصدقاء بتفصيل الاحتفال العظيم الذي اقيم لتشييع جثته فقال ان الناس تقاطرت من الحصن وصافيتا وعكار والمرقب وسائر الجهات المجاورة للاشتراك مع آل الفقيد الكرام في حزنهم الاليم فنحن نسال الله تعالى ان يجمل عزاءهم في هذا المصاب ولا سيما نجل الفقيد جناب اسبر افندي بشوز ونطلب لفقيدهم واسع الرحمة والرضوان

(الكومندور جوفاني استاني) استأثرت رحمة الله تعالى في ١٣ الجاري بالمأسوف عليه الكومندور جوفاني ستاني عميد النزالة الايطالية في الثغر واحد اكابر تجاره · توفي بعد شيخوخة صالحة قضاها بالاستقامة والجد والنشاط فاحتفل بتشييع جثته احتفالاً نادر المثال رحمه الله رحمة واسعة والهم آله الصبر الجميل على فقده

(نزها صدقه خلاط) نعيت الينا من طرابلس الشام المرحومه نزها صدقه خلاط قرينة حضرة الخواجا اسكندر خلاط · توفاها الله ولها من العمر ٤٦ عاماً فدفنت بالاكرام اللائق بها · تغمدها الله برحمته ورضوانه والهم اهلها جميل الصبر

ولما دخلت اندري الى غرفة الملكة وجدتها قد انتبهت من النوم وهي تلبس ملابسها مسرعة وقد علمت بكل شيء . وبعد ان فرغت من لبس ملابسها سارت مع اندري ركضاً وخرجتا من دهليز سري في داخل المكان قاصدتين قصر الملك . وقد اقفلت اندري ابواب الدهليز بعد اجتيازه مخافة ان يلحق بهما الثائرون اذا كانوا قد خلصوا من جورج شارني وكسروا ابواب القصر

الفصل الواحد والعشرون

(طلوع الصباح)

وكان الكونت اوليفيه دي شارني ينتظر الملكة عند الحد الفاصل بين القصرين علماً منه بانها لا بد ان تاتي من ذلك المكان السري فلما وصلت اليه ماري انطوانت وابصرت ثيابه المخضبة بالدماء صاحت مذعورة — اين الملك . فقال لا تخافي ياسيدتي فانه سالم بحمد الله . ثم القى نظرة الى ما وراء الملكة فعلمت الملكة انه يفتش عن اندري فتنهدت وقالت بنزق لا تخف فانها قادمة . ثم خفت الى ابنها ولي العهد واخذته بين ذراعيها

وكانت اندري قد تأخرت لانها كانت تقفل الابواب فلما عادت وجدت الكونت واقفاً ينتظرها فابتسم كل واحد منهما ابتساماً دلَّ على ما في خاطره ودخلا في اثر الملكة

فوجدا الملكة تنادي — الملك الملك اين الملك . فاجاب شارني — ان جلالته يفتش الآن عنك فانه ذهب اليك من دهليز بينما كنت آتية من دهليز ثانٍ

وفي هذا الوقت اشتد الصياح في الخارج وسمعت الملكة الهاجمين يصرخون — لتسقط النمساوية . لتسقط مدام فتو . يجب ان نخنقها ونشنقها

ثم سُمع صوت طلق ناري . ذلك ان احد الواقفين وراء الباب المحصور اطلق رصاصتين على خشب الباب فخرقت الرصاصتان الخشب ومرت احداهما على بعد بضع اصابع من راس ولي العهد

فصاحت الملكة وهجمت على ابنها قائلة — يا الهي لقد قُضي علينا بالموت . فاشار حينئذٍ شارني الى الحراس فهجم منهم خمسة واحاطوا بالملكة والولدين وقاية لهم

فدخل الملك في هذه الساعة بخطى ثقيلة والاصفرار في وجهه والدموع في عينيه فطارت الملكة حينئذٍ ركضاً اليه والقت بنفسها بين ذراعيه صائحة — سالم والحمد لله .

فقال الملك . نعم سالم والفضل في ذلك للكونت شارني . وانت سالمة ايضاً . فقالت نعم سالمة والفضل بذلك لاخيه البارون دي شارني

فنظر الملك الى الكونت ثم مد اليه يده مصافحاً وقائلاً لقد غمرتنا اسرتكم بفضلها ايها الكونت حتى اننا اصبحنا عاجزين عن مكافأتها

اما الملكة فان نظرها التقى حينئذٍ بنظر اندري فحولت وجهها خجلاً

ثم ازداد هياج الهائجين خارجاً فاشتد ضربهم الباب بالعصي والحراب والفؤوس وكثر لغطهم

فصاح الكونت دي شارني بالحراس . ايها الحراس شدوا عزائمكم فانه يجب علينا ان نثبت امامهم ساعة على الاقل وبعدذلك لا بد ان ياتينا مدد . ونحن هنا سبعة جنود فلا يستطيعون قتلنا كلنا في اقل من ساعة

ثم بادر الى خزانة كبرى كانت في زاوية المكان فحملها ووضعها ايضاً خلف الباب المحصور . فحذا باقي الحراس حذوه حتى لم يبقَ في الغرفة شيء الا ووضعوه وراء ذلك الباب . ثم كمنوا وراء تلك الاشياء وسددوا بنادقهم الى الباب من فوقها

اما الملك فانه دخل الى غرفة مجاورة ليحرق بعض الاوراق السرية لئلا يستولي الهاجمون عليها اذا استولوا على القصر . واما الملكة فانها اخذت ابنيها بين ذراعيها ووضعت يديها على راسيهما واخذت تصلي

فكانت تلك الساعة من اشد الساعات هولاً واكثرها تاثيرًا في النفوس

وكان يخيل للمحصورين ان كل دقيقة تذهب انما تذهب من عمرهم الذي اصبح قصيرًا . وقد اشتدت الضربات على الباب بالفؤوس والمعاول حتى تطايرت منه بعض الشظايا وانفتحت الثغور فيه . فحينئذٍ مدّ الجنود بنادقهم من هذه الثغور واطلقوها على المجتمعين وراء الباب فقتلوا بعضاً منهم . فجاوبهم الثائرون باطلاق الرصاص على الباب فمزق الرصاص الخشب وراح يصدم ارض الغرفة وسقفها وجدرانها

ثم استمر القتال على هذا المنوال والهياج بالغ مبلغه والناس لا يزالون يضربون الباب من الخارج حتى نفد الرصاص من الحراس . وكان الثائرون قد كسروا الباب والخزانة التي وراءه فبانت منها وجوههم الوحشية الهائلة فاخذ الحراس يدافعونهم عنها بالحراب منعاً لهم من الدخول . ولكن شارني ادرك انهم كادوا يخسرون كل شيء فخف الى الملك وقال له — تفضل يامولاي وادخل الى الغرفة المجاورة مع الملكة والولدين واثنين منا فاننا نثبت هنالك

ساعة كما ثبتنا هنا ساعة

فتردد الملك في ذلك اذ خجل ان يفر من مكان الى مكان ويختبئ وراء الابواب والاثاث · ولولم تكن الملكة معه لما خطا خطوة واحدة · وكذلك الملكة لو لم يكن معها ولداها لما طاوعت الملك على ذلك · ولكن في نفوس جميع البشر ملوكاً كانوا أو عبيداً أبواباً تخرج منها الجرأة ويدخل فيها الخوف في بعض الاحوال

فرضي الملك واصدر امراً بالارتداد الى الغرفة الخلفية للتحصن فيها

ولكن لم يكد الملك يصدر هذا الامر حتى هدأت الحركة والجلبة وراء الباب المحصور وانسحبت الحراب والرماح التي كانت ممدودة من الثغور · فعجب الجميع واصغوا فسمعوا صوت اقدام متوازنة يشبه صوت مشي الجنود

فصاح الكونت دي شارني هذه جنود الحرس الوطني · ثم سكنت الغوغاء سكوناً تاماً كأن المجتمعين قد تفرقوا

وبعد هنيهة دنا رجل من الباب وصاح مسيو دي شارني مسيو دي شارني ثم ظهر من احد ثغور الباب وجه بيلو القوي

فصاح الكونت دي شارني بيلو بيلو هذا انت ايها الصديق · فقال نعم اين الملك والملكة · فقال هنا · قال ماذا حدث لهما · قال لا شيء بل هما في خير وسلامة

فصاح بيلو ملء فمه — نحمد الله على ذلك· ثم نادى — يامسيو جيلبار

فما لفظ بيلو هذا الصوت حتى تحرك في الغرفة قلبان حركة مختلفة · الاول قلب الملكة والثاني قلب الكونتس اندري · فابصر الكونت دي شارني اضطرابها واصفرارها فتنهد وسكت لانه كان لا يدري السبب

فتقدم الملك في تلك الساعة وقال افتحوا الباب ايها الحراس فبادر الحراس الى رفع قطع الاثاث والخشب التي كانت وراءه · ثم سُمع صوت لا فاييت صارخاً يقول

ايها السادة جنود الحرس الوطني · لقد وعدت الملك امس وعد حرٍ بان لا اترك احداً يمس كل ما هو ملكه فاذا تركتم احداً من الشعب يقتل احد حراسه فانني اخلف بوعدي فاصبح غير اهل لان اكون رئيساً لكم (يعني انه يستعفي من وظيفته)

ولما فتح الباب دخل لافاييت وجيلبار ووراءهما بيلو الذي كان فرحاً بخلاص الملك لانه هو الذي ذهب وايقظ لافاييت من النوم · فهجمت مدام عدلايد على لافاييت وعانقته قائلة — انت الذي انقذتنا ايها الجنرال · فتقدم لافاييت نحو الملك فعارضه احد

الحراس قائلاً — هل معك ورقة دخول على الملك ياسيدي · فنظر اليه الملك ثم خف الى لافاييت مادًا اليه يده وقائلاً — اذا لم يكن معه ورقة دخول فها انني اعطيه اياها

فصاح بيلو من وراء لافاييت — ليحيي الملك لتحيى الملكة

فالتفت الملك عند سماعه هذا الصوت وقال هذا صوت قد سمعته قبل الآن

فقال بيلو مسرورًا نعم ياذا الجلال فانك سمعته على طريق باريز آه ليتك يامولاي بقيت في باريز

فعبست الملكة لهذا الكلام · واما الملك فقال للافاييت مستفهماً · ماذا يجب ان نصنع الآن ايها الجنرال · فقال لا فاييت ارى الآن من النافع ان تظهر جلالتك للشعب من شرفة القصر (البالكون)

فنظر الملك الى جيلبار نظرة يستشيره بها ثم انه لما لم يرَ ممانعة اتجه نحو النافذة ففتحها وخرج الى احدى الشرفات مطلاً على الشعب ·

فخرج حينئذٍ من الوف الشعب التي كانت متجمعة هنالك صوت عظيم طبق السماء اذ صرخوا كلهم قائلين — ليحيَ الملك ليحيَ الملك

ثم تلاه صياح آخر — الى باريز الى باريز

وتلاها صياح ثالث — الملكة نريد الملكة

ولكن ما صاح الشعب نريد الملكة حتى اقشعرت جلود جميع الواقفين حول الملكة واصفرت وجوههم كلها حتى وجه الملك والملكة نفسها · اذ كيف يمكن ان تخرج الملكة لمقابلة ذلك الشعب الذي كان قبل بضع دقائق يصيح ويصرخ طالبًا ان يخنقها و يشنقها · الا يُخشى ان تطير من بين الجموع رصاصة فتقضي عليها

ولكن الشعب كان شديد الاصرار فاخذ يصرخ من جديد صراخًا اقوى — الملكة الملكة

فالتفت لافاييت اليها وقال — ان الشعب يطلب ان يراكِ يا مولاتي

فصاحت ابنتها — لا لا · لا تذهبي يا امي · ثم عانقتها كانها تريد ان تمنعها من الخروج الى الشرفة · فنظرت الملكة الى لا فاييت وهي ساكتة · فقال لافاييت لا تخافي ياسيدتي · فقالت الملكة ولكن كيف اذهب وحدي

فابتسم لا فاييت اذ فهم مرادها · ثم دنا من الولدين فاخذهما منها بلطف واحترام ودفعها امامها الى البالكون · ثم قدم اليها يده قائلاً — اتكلي عليّ ياسيدتي فاتحمل تبعة كل امر · ثم دخل معها وراء الولدين الى الشرفة وهي مستندة الى ذراعه

فكان منظر جميل وعظيم معاً . فان الشعب كان تحت شرفة القصر كالبحر العجاج المتلاطم الامواج . وكانوا كلهم مشرأبي الاعناق ينظرون الى الشرفة و ينتظرون ا لملكة ولما ظهرت لهم هاجت نفوسهم وصاحوا صيحة لم تسمع الاذان مثلهـا . ولكن لا يعلم احد اذا كانت هذه الصيحة صيحة سرور وفرح او صيحة تهديد ووعيد

فاخذ حينئذ لافاييت امام الشعب يد الملكة وقبلها . فطرب الشعب ساعتئذٍ وهتف هتاف السرور واخذ يصفق ابتهاجاً وحبوراً

فتنفست الملكة الصعداء كأن خاطرها اطمأن بعد قلقه وقالت ـ يا لهذا الشعب الغريب

ثم اجفلت وقالت للافاييت . حرسي ايها الجنرال فانهم انقذوني من الموت افلا تستطيع ان تصنع شيئاً من اجلهم . فاجاب لا فاييت نادي احدهم ياسيدتي

فصاحت الملكة . كونت دي شارني . كونت دي شارني

فادرك الكونت غرض الملكة فرجع الى الوراء لانه كان يرى نفسه غير مذنب فلا حاجة به اذاً للصفح والعفو . وكان ذلك راي زوجته الكونتس اندريـه ايضاً . فانها حين صياح الملكة مدت يدها نحوه كانها تريد صده عن الذهاب الى الشرفة فالتقت يدها بيده فتضاغطتا . فابصرت الملكة ذلك فثار ثائر غضبها ونادت بغيظ احد الحراس القريبين منها ـ تعالَ الى هنا ايها الحارس

فذهب الحارس الى الشرفة . فاخذه لا فاييت على انفراد امام الشعب ثم تناول الشعار الوطني المثلث الالوان من قبعته ووضعه في قبعة الحارس وقبله في وجهه

فصرخ الشعب صراخاً هائلاً ـ عاش لا فاييت . عاش حرس الملك

فقال لافاييت . قد ذهب الخوف الآن وعادت ايام الصحو ايتها السيدة

ثم خرج مع الملكة والولدين من الشرفة الى القاعة حيث كان الملك . فقال لافاييت ولكن رغبةً في ان لا تعود ايام القلق والاضطراب اطلب من جلالتكم امراً

فقال الملك قل ماذا تطلب ايها الجنرال

فقال لا فاييت اطلب ان تسافروا الى باريز . فقال الملك لك ما تشاء فاعلن الشعب انني مسافر اليها مع الملكة وولديَّ بعد ساعة واحدة . ثم التفت الى الملكة وقال — اذهبي الى قصرك ايتها السيدة واستعدي للسفر

وكأن هذا الامر اذكر الكونت دي شارر ني امراً ثانياً . فما تحركت الملكة للذهاب

الى قصرها حتى سبقها الكونت اليه · فقالت الملكة بغضب لانها كانت ساخطة من رفضه الذي تقدم الى اين انت ذاهب ايها الكونت · فقال عفواً يامولاتي فان لي حاجة في قصرك ولكنني لا اطيل الاقامة فيه

ثم سار طالباً حاجته والملكة في اثره

ولما فتح جميع الابواب التي كانت اندري قد اغلقتها ووصل الى الباب الذي هجم الثائرون للدخول منه الى الملكة والكونتس اندري جعل يفتش بنظره في ذلك المكان وهو طائش الافكار والملكة وراءه ترى ماذا يطلب · واذا به يعثر بشيء برجليه في ظلمة الدهليز · فانحنى ليرى الشيء الذي عثر به واذا به جثة انسان · فالوى على وجهه ليراه ثم قال بصوت خافت حزين — وجدت ياسيدتي ما كنت اطلبه

وكانت هذه الجثة جثة اخيه المسكين البارون دي شارني وقد قتل في الدفاع عن الملكة.

الفصل الثاني والعشرون

(امام جثة)

اختلف الرواة في رواية هذه الحادثة التي يحسبها المؤرخون من اعظم الحوادث التي حدثت في اعظم ازمان الثورة الفرنسوية اي الزمن الذي بين سنة ١٧٨٩ وسنة ١٧٩٦ وتعددت رواياتهم · ولكن ماذا تنفع الروايات وان كثرت وماذا ينفع التاريخ نفسه · هل استفاد الملوك عبرة منه فاجتنبوا السير على الطريق التي سار عليها الملوك الذين كتب لهم السقوط · هل اثرت دماء اولئك الملوك التي سفكت ودموعهم التي اذرفت قدر ما تؤثر نقطة من ماء المطر في وجه الارض · بكى الملوك وخافوا وسفكوا دماءهم ولكن كل ذلك لم يجدِ الملوك نفعاً · واخلصت الرعية وسفكت دماءها في سبيل الدفاع عن ملوكها وكل ذلك لم يجدِ نفعاً · بل حملت زوبعة العالم الهائلة تلك الدماء والدموع والذنوب والمسرات فمزجتها معاً واسفتها في الفضاء الى حيث لا شيء يؤثر فيها او تؤثر فيه · فيا للتلاشي · يا للعدم · يا لضعف القوة البشرية

وبعد انقضاء ساعة على هذه الحادثة كان الملك سائراً مع الملكة وولديه الى باريز عملاً بارادة الشعب تاركاً فرساليا التي كتب له ان لا يعود اليها فيما بعد · وبينما هو سائر على طريق باريز كان في قصر الملكة في فرساليا منظر يفتت الاكباد

فقد كان الكونت دي شارني محنياً على جثة اخيه الشاب جورج الممددة في ارض

الدهليز ووراءه رجلان واقفان وقفة الحزن والتأمل

وكان هذان الرجلان الدكتور جيلبار وبيلو

اما الكونت دي شارني فكان جاثياً امام الجثة بنفس ملئها مرارة الموت وهو يتأمل في ذلك الثوب الترابي الذى طارت منه روحه . يتامل الجروح الكثيرة التي في راسه وصدره والتي منها سال جميع دمه . يتامل ملامح الكبرياء والشمم التي رسمها الموت على وجهه . ملامح اليأس في الدفاع . ملامح من يعلم انه مائت . يتامل ذلك الشاب الذي لا يتجاوز الثانية والعشرين من عمره وقد حارب مئات وهو واحد . يتامل تلك القوة التي اوقفت وهي في ابان عزمها . والهمة التي انحلت قبل ان تبلغ اشدها . والروح التي جادت بنفسها فدى ملكها وملكتها . فيخال له ان تلك الجثة الهامدة مكللة باكليل بهي من الشباب والجمال والامانة والاخاء والايثار ومعرفة الواجبات . فياخذها بين يديه ويضمها بحرقة زائدة

ثم يقول بصوت خافت وقلب محترق ـ مات . مات . واحسرتاه عليه

فلم يستطع بيلو صبرًا على هذا المنظر فانزوى في زاوية اخفاء لتاثره ودموعه . واما جيلبار فازداد تاملاً وتفكرًا حتى اصبح بازاء الاخوين صنماً جامدًا لا يتحرك منه شيء غير قلبه . وكان كفيلسوف يروقه ذلك المنظر ويسوءه معاً . يسوءه لان اخاً كان يحترق على اخيه . ويروقه لانه رأى فيه كيف يكون الحب الاخوي وبذل الذات في سبيل القيام بالواجبات

وبعد مرور زمن على اوليفيه وهو جاث فوق جثة جورج نهض الشاب واخذ الجثة بين يديه ثم اوقفها على الجدار واخذ ينظر اليهـا . ثم وضع يديه على عينيه فمسحها ورام الخروج من المكان . فخيل له حين خطا الخطوة الاولى ان اخاه جورج سيتبعه

ثم التفت الى ذلك الاخ الجامد الساكن وتنهد ثم خرج

فتقدم بيلو بعد خروج شارني من الدكتور جيلبار وقال طاوياً يديه على صدره . قلت لك يوماً من الايام ايها الدكتور انني انفت من قتل القتلة الثائرين بعض الاشرار فما قولي الآن وقد اخذوا يقتلون الابرياء . ثم اشار بيده الى جثة جورج

وكان الدكتور جيلبار صنماً لا يتحرك كما ذكرنا . فلما سمع قول بيلو اجاب . وماذا تعني بذلك يا بيلو . فقال اعني بذلك انني سئمت باريز وفظائعها وازددت رغبة في العودة الى مزرعتي

فرفع جيلبار حينئذٍ راسه وقال ـ عافاك الله يا بيلو · فانك بعد ان تكون قد هدمت البناء بيديك تود هجر الخرابة والخروج منها قبل اعادة بنائها

فقال بيلو ماذا اصنع فانني لا استطيع رؤية هذه الفظائع · فقال جيلبار بل انك خشيت ان تقع بعض حجارة البناء على راسك

فقال بيلو وهل من سوء الراي ايها الدكتور ان يهتم الانسان قليلاً بنفسه فانني ذو عائلة واملاك وعائلتي تحتاجني في هذه الاوقات· فاجاب جيلبار بلهجة شديدة ـ ولكن الا تعلم يا بيلو ان الانسان لوطنه قبل عائلته

فقال بيلو نعم ولكني لا اخالك ترضى ان يراك ابنك مكان هذه الجثة او ترى ابنك مكانها · فقال جيلبار · بيلو · بيلو · اعلم انني لو رايت ابني الآن مكانها لنظرت اليه كما انظر الآن اليها · واعلم ايضاً انني اربي ابني تربية تجعله في المستقبل يراني كما اراها متى صرت مكانها

فاحس بيلو بلذع هذا الكلام لانه مع شدة اخلاقه وصلابة نفسه لم يكن قد سمع مثله فقال للدكتور · ولكن قولك هذا بمثابة قولك انك تريد ان تعوده منظر الدماء وان القتل والنهب والسلب كل هذه امور بسيطة يجب ان يشاهدها الانسان دون ان يتاثر لها

فقال جيلبار باقوى صوته ـ كلا ليس هذا المقصود من كلامي يا بيلو · وانما المقصود منه ان مصائب الحياة كثيرة واهوالها عديدة فيجب على الانسان ان يتعلم طرق احتمالها والا ناء بها وسقط تحت حمله · واذا كان القتل والسلب والنهب اموراً فظيعة فاشد فظاعة منها ان نترك القتلة والناهبين والسالبين يعملون هذه الاعمال ونفرُّ من وجوههم بدل مقاومتهم ومنعهم من العودة اليها

فصاح بيلو ولكن ماذا يستطيع رجل واحد ان يصنع وحده · اقدرتُ ان امنع هذا الشاب المسكين ان يُقتل · اقدرتُ على منع اللصوص القتلة الاشرار من تدنيس قصر الملك بهجومهم عليه

فضحك هنا جيلبار وقال يا لنيتك الخالصة واتضاعك ايها الرجل · تقول انك لم تصنع اليوم شيئاً مع انك انت الذي خلصت الملك والملكة وولديهما · انسيت انك انت الذي بادرت في صبيحة هذا اليوم الى فراش الجنرال لا فاييت وهو نائم وايقظته ثم اطلعته على هجوم الرعاع على قصر الملك ثم ركضت معه لارجاعهم عنه · افتحسب كل هذا يا بيلو امراً

لا يستحق الذكر . اما كان الملك والملكة وولداهما الآن لولاك جثثاً في هذا القصر كهذه الجثة التي امامنا . فكيف تقول انك لا تستطيع ان تصنع شيئاً للوطن

فسكت بيلو واخذ يفرك جبينه و يفتكر . فقال جيلبار فابقَ اذاً معي يابيلو . ابقَ اذا كنت تحب وطنك وتبغي خدمته . اما اذا كنت تفضل خدمة عائلتك على خدمته فاذهب اليها فانك حينئذٍ تكون غير اهل لحبه ولصداقتي

فرفع بيلو حينئذٍ راسه ومد يده الى الدكتور قائلاً — الحق اقول لك ايها الدكتور انني لا اجادلك مرة الا و ينتهي الجدال بفوزك . ذلك لانك قوي كريم اصيل الراي ثابت العزم . واني لا ارى احداً كذلك في هذا العالم غيرك . فقل لي ما الذي جعلك هكذا

فقال الدكتور بابتسامة اقرب الى الحزن منها الى السرور — المصائب المصائب يابيلو .

فقال بيلو ولكن هذا امر غريب لانني احسب ان المصائب تجعل الناس اشراراً

فقال جيلبار نعم تجعل الناس اشراراً اذا كانوا ضعفاء النفوس . اما الاقوياء فانها تزيدهم قوة . فقال بيلو ولكني اخشى انني اذا بقيت ههنا واصبت بمصيبة اصبحت تعيساً شريراً . فقال جيلبار . لا تخف . فانك قد تكون تعيساً ولكنك لا تكون ابداً شريراً اذ ليس فيك شيء من صفات الاشرار

فقال بيلو . اذاً ابقى معك هنا واذا ظهر مني ضعف فانني استند اليك

فقال جيلبار وانا اقويك حين الحاجة

الفصل الثالث والعشرون

(رجوع بيتو الى حيث يحب)

لقد آن لنا ان نترك باريز وفرساليا ونخلص من انفاس الثورة الجهنمية لنتبع بيتو الذي عاد الى مزرعة بيلو حيث الهدوء والسكينة مصطحباً ابن الدكتور جيلبار الى مدرسة الاب فورتيه بناء على طلب والده كما مرَّ بنا . وكان الدكتور قبل سفره بولده قد اوصاه به عدة وصايا اكثرها صحية ووضع في يده قبضة من الليرات نخفق لها قلب بيتو المسكين طرباً . ثم جاء بيلو واخذه على حدة واوصاه بما يريد ان يوصي به امرأته وابنته كاترين وبعد ذلك سار بيتو بالولد سيباستيين وهو مفتخر بان الدكتور جيلبار وثق به وسلمه ولده وكان بيتو لا يزال يلبس في راسه الخوذة العسكرية التي كان يلبسها يوم فتح الباستيل

ويضع على جنبه السيف الذي كان يحمله في هذا اليوم فكان له منظر عسكري يُضحك معارفه ويوجب له اكرام من لا يعرفه

وفي طريقه من باريز الى فيلله كوتره اخذ يقص على الناس الذين يجدهم في طريقه حوادث باريز وتفاصيل ثورتها فكانوا يحيطون به ويصغون اليه باكرام ويدعونه الى موائدهم ومنازلهم مع رفيقه سيباستيين فارتفع بيلو في عيني نفسه وصار يشمخ بانفه كبرياءً واعجاباً

وما زال سائرًا برفيقه حتى قربا من فيلله كوتره فاصبح بيتو متاملاً مفكرًا · وعند وصوله الى مفترق الطرق وقف حائرًا فساله سيباستيين ما بك يا بيتو فقال الفتى مترددًا الا ترى بانه يجدر بنا المرور بهرامونت في مسيرنا الى فيلله كوتره

وكانت هرامونت مسقط راس بيتو كما علمنا وفيها دُفنت امه

فقال سيباستيين نعم قد فهمت قصدك هلم نزور القرية التي ربينا فيها · فسرَّ بيتو وسار بسيباسيين على طريق هارامونت

ولما دخلا هذه القرية عرضت لبيتو جميع تذكارات ايامه الماضية فتنهد من اعماق قلبه ثم اتجه نحو منزل والدته ليزوره · ولكن عمته انجليك كانت قد باعت هذا المنزل والذي ابتاعه هدمه وبنى غيره · فاستاء بيتو لهذا التغيير الذي حدث ولكنه ما لبث ان اخذ يد سيباستيين قائلاً – تعالَ معي الى المكان الذي لانجد فيه شيئاً متغيرًا · ثم اتجه به صوب مدفن القرية حيث دُفنت امه

وفي الحقيقة ان ذلك المكان مما لا يتغير فيه شيء على مرور الايام بل فيه ثبات الابدية ودوامها · ولكن العشب كان قد نبت كثيرًا على القبر وغصن الصفصاف الذي غرسه بيتو فوق تربة امه قد نبت ونما واصبح شجرة باسقة تتدلى اغصانها فوق القبر

فوقف بيلو هناك برعدة وخشوع ووجهه بين يديه · فصلى اولاً ولما فرغ من الصلاة رفع يديه بقلب محترق وضم بهما الى صدره اغصان الصفصاف المتدلية · فخيل له انه يضم شعر امه · وفي هذه الساعة هبت نسمة على ذلك المكان الابدي فتحركت اغصان الصفصاف فوق راس بيتو وتماوجت تماوجاً لطيفاً فخيل لهذا الابن الامين ان حفيف تلك الصفصافة صوت والدته يدعوه ويدعو له

فزاد بكاؤه · وكان سيباستيين واقفاً بازائه وهو جامد كالصنم جمود ابيه في مثل هذا الموقف · وبعد هنيهة مدَّ بيتو يده وكسر قطعة من غصن الصفصافة ليجعله معه تذكارًا

من امه . ولكن خُيل له بعد كسر هذه القطعة من الشجرة التي تظلل تربة امه باغصانها وتحتضن في جوف الارض تابوتها بجذورها ان امه قد تألمت من الكسر الذي حدث في شجرتها

فياللعواطف الوالدية الكريمة في نفوس الابناء والاباء . اين الذين يقولون انه لا يوجد فضيله ولا حب صادق في هذا العالم

ثم ان بيتو قبل اطراف اغصان الصفصافة مراراً وخرج مع سيباستين بهدوء وسكون متجهاً نحو فيله كوتره

وحين وصوله اليها قصد مدرسة الاب فورتيه وكان الاب من حسن الحظ غائباً لانه خرج لينزه تلامذته فسلم بيتو سيباستيين الى اخت الاب فورتيه ودفع اليها اجرة المدرسة وكتاب الدكتور الى ذلك الاب ثم عانق سيباستيين فبكيا كلاهما ولكنهما تواعدا بالاجتماع في كل فرصة و بعد ذلك خرج بيتو من هذه المدرسة

فرأى حين خروجه منها امراً ادهشه . فان الاهالي كانوا قد دروا بحضوره فاجتمع منهم كثيرون في الساحة التي تلي المدرسة لمشاهدة خوذته وسيفه . وقد عرفوه لانه لم يكن انقضى على سفره من بلدتهم الى باريز الا ٣ اسابيع فقط اما اهالي هارامونت فلم يعرفوه لانه انقضى على سفره من عندهم اكثر من ٣ سنوات

فلما التقى بيتو بمنتظريه بشّ لهم وسلّم عليهم فاحاطوا به من كل جانب واخذوا يتاملون منظره الغريب . ثم استقصوه تفاصيل باريز فقص عليهم الحوادث وما صنعه بيلو والدكتور وزاد على ذلك انه تعرف بنا كارو بالي ولافاييت فاصبح من اصدقائهم

فاشتدت حماسة الناس وزاد اعجابهم به حين قوله انه من اصدقاء لافاييت ونا كار و بالي واخذوا يدعونه الى منازلهم و يبالغون في اكرامه . اما هو فاعتذر لهم اذ من واجباته مقابلة عمته اولاً ثم ودعهم وسار قاصداً منزل عمته

فتبعه الجمهور من بعيد اولاً لانهم كرهوا ان يفارقوه وثانياً لانهم ارادوا رؤية ما يحدث بينه وبين عمته لانهم كانوا يعلمون حوادثها الماضية معه

ولكن لما وصل بيتو المسكين الى بيت عمته وجد الباب مقفلاً لانها كانت غائبة . فجرد بيتو سيفه ودفع طرف القفل براسه فانفتح الباب بالحال

فعجب الواقفون من بعيد للبسالة التي جرد بها بيتو سيفه ولجرأته على فتح باب عمته لانهم كانوا لا يجهلون مبلغ سلطتها عليه

ولكن الثورة الفرنسوية كانت قد غيرت اخلاق هذا الفتى ومن يفتح الباستيل لا يخشى فتح باب العمة انجليك . لذلك دخل بجاش ثابت الى المنزل الذي فتحه . ومن يعرف اخلاق بيتو ويعرف ان السير يستدعي التعب والتعب يستدعي الجوع وان الجوع متى تملك بيتو فهو لا يعود يفتكر الا بارضائه — من يعرف ذلك فانه يقول ولا شك ان بيتو يركض الى خزانة الطعام اول دخوله الى منزل عمته . وهكذا كان . ومن حسن حظ بيتو انه وجد في تلك الخزانة صحناً كبيراً ممتلئاً ارزاً مسلوقاً وفوقه ديك مقلي كبير كانه والارز جزيرة في بحر . اما راس الديك المقلي فقد كان يحكي فوق الارز قمة سوتا في مضيق جبل طارق . . .

فمد بيتو الى الصحن يديه الطويلتين المعهودتين واخذ يمضغ ريقه استعداداً لمضغ ذلك الطعام الشهي . ثم اوقف الصحن على اطراف اصابعه اليسرى وتناول اكبر الملاعق بيده اليمنى وبعد ذلك اتجه الى كرسي العمة انجليك المشهورة بما في جوفها من الكنوز فجاس عليها بعظمة واغمد ملعقته في الارز ولحم الديك فاشبهت يداه وفمه واضراسه وبلعومه في اكله مقاذف تقذف ومغارة تنفغر وطاحوناً تطحن وبالوعاً يبلع

غير انه بينما هو في الذاوقات مضغه واذا به يرى خيالاً في الباب فالتفت فرأى وجه عمته

عمته التي يعرف قسوتها وبخلها . عمته التي يعرف شراسة اخلاقها ودناءة نفسها . فضحك بيتو حين رؤيتها ثم نهض مسرعاً والملعقة والصحن في يديه هذا في واحدة وتلك في اخرى فعانقها وضمها ضماً شديداً الى صدره . فحسبت العمة ان بيتو ينوي الانتقام منها لشدة ما ضمها الى صدره فكادت تصيح لو لم يتركها بيتو ويعود باسماً الى كرسيه وفي يده الملعقة والصحن لاستئناف الاكل

فدهشت العمة من وقاحة هذا الفتى الذي كان منذ عهد قريب كالنعامة تذعره اقل حركاتها . فلبثت محدقة به وهي مبهوتة مستغربة وهو ياكل ياكل بسرعة كجواد ينهب الارض نهباً حتى انكشف له قعر الصحن وبان اخضراره من تحت بياض الارز

فزأرت العمة انجليك كما تزأر الاسود اما بيتو فضحك كما تضحك القرود فزاد ضحكه سخطها وغضبها حتى لجما لسانها عن الكلام فلم تعد تستطيع ان تتكلم

ولكنها ما لبثت ان شددت عزمها وجمعت قواها واخرجت صوتاً نحيفاً قائلة —

لص شقي

فقهقه بيتو ووضع الملعقة في الصحن والصحن على كرمي هناك ثم نهض متنفساً الصعداء تنفس من فرغ من عمله وقال ضاحكاً · لماذا تسميننى لصاً ايتها العمة

فزمجرت انجليك وصاحت بصوت مخيف ايضاً ـ يا ابن اللئام

فقال بيتو · هل تسميننى لصاً لانني اكلت من طعامك · اذا كان من اجل ذلك فانني صرت في غنى عنك وهذا ثمن ديكك

ثم مد يده الى جيبه لاخراج النقود فحملقت العمة انجليك ولبثت مبهوتة تنتظر ان يخرج بيتو يده بالنقود · فقال بيتو · احسبي ثمن الطعام لادفعه لك · ثمن الارز ٢٠ باره والخبز ١٠ فالمجموع ٣٠ باره

فصاحت انجليك ولكنك احمق مجنون تحسب ثمن ما أكلت ٣٠ بارة فقط · وقد قالت ذلك بلهجة اليأس والغيظ الشديد

فقال بيتو اما الديك فانه لا يجب ان يُحسب ياعمتي لانه ولا يخفاك ملكي اكثر مما هو ملكك · اما انا الذي سرقته لك لما كان صغيراً · انسيتِ انك ضربتني لانني لم اسرق معه حبوباً لاطعامه فاعطتني يومئذ مدموازل كاترين بعض الحبوب لتخفيف غضبك · فانا اذاً اكلت ما هو ملكي

فنظرت اليه عمته بعين ملئها الغضب والجنون وصاحت بصوت اجش وهي تشير الى الباب ـ اخرج من هنا

فقال بيتو ولكن هذا الامر مهين ياعمتي ولم يبقَ في وسعي احتماله كما كنت احتمله في الماضي · ثم خطا نحو الباب فوقف فيه ونظر الى الخارج فابصر جمهور الاهالي لا يزالون ينتظرون خروجه فحدثته نفسه ان يثأر لنفسه من عمته فرفع راسه ووضع يده على قبضة سيفه ثم نظر اليهم في الخارج واليها في الداخل وصاح بصوت جهوري قوي ـ لماذا تطردينني من بيتك

فعجبت العمة لهذه اللهجة الفجائية اما بيتو فاستانف يقول ـ انني استشهد هولاء القوم الكرام على ما تصنعينه مع احد اقاربك · انا يتيم مسكين جئت ماشياً من باريز فوصلت معي من الجوع والتعب فقصدت ان استريح عندك فكرهتِ ذلك وطردتني

فاخذ المجتمعون يتململون ويظهرون استياءهم فيما بينهم من عمل العمة انجليك فاردف بيتو بقوله ـ طردتني انا الوطني الصادق · انا فاتح الباستيل · انا الذي يشرفني بيلو والدكتور جيلبار بصداقتهما · انا صديق بالي ولافاييت · طردتني فاستشهدكم كلكم

على ذلك

فاشتد استياء الجهور واخذوا ينظرون الى العمة شزرًا تخافت المسكينة منهم ومن هذه الجراءة التي اظهرها بيتو · ثم اردف هذا الشقي بقوله ـ ولكي لا ابقى مديونًا لك بشيء فانني ادفع لك الآن ثمن الطعام الذي اكلته عندك واحاسبك متى اردت على عملك ·

ثم مدّ يده الى جيبه فاخرج ريالاً والقاه امامها وخرج خروج الساخط وجميع الواقفين يستحسنون عمله ويظهرون استياءهم من عمته · فمدت انجليك يدها فتناولت الريال وهي تقول في نفسها انها اخطأت باغضابها بيتو اذا كان يدفع ثمن كل وقعة ريالاً

الفصل الرابع والعشرون

(بيتو وكاترين)

وخرج بيتو من بيت عمته وسار قاصدا مزرعة الاب بيلو اذ بقي عليه القيام بحاجات قلبه بعد قيامه بحاجات معدته

وكان يسير في طريق المزرعة وقلبه يكاد يذوب شوقًا وتذكارا وهو يقول في نفسه ـ غدًا استريح من جميع الاتعاب التي عانيتها فاعيش في المزرعة مسرورا هنيء البال · غدًا لا يكون همي الا ارضاء كاترين الجميلة وخدمتها والمعيشة تحت ادارتها · وكان كلما ذكر كاترين في نفسه وجد لذكرها ارتياحاً لا يوصف وكلما دنا من المزرعة شعر بازدياد ارتياحه وسروره

ولما وصل الى باب المزرعة كان خبره قد انتشر في جميع الناحية لاستغرابهم ذلك الشاب الطويل الذي على رأسه خوذة تزيده طولا والى جنبه حسام · فدخل بيتو وهو يرفع راسه افتخارا بخوذته وحسامه وعيناه تفتشان عن كاترين قبل كل شيء

وكانت مدام بيلو في المطبخ فاستغربت دخول هذا الرجل الغريب وسالته من هو فرفع بيتو الخوذة عن راسه · فقهقهت مدام بيلو ضحكاً وصاحت ـ بيتو قد جاء بيتو انظروا ملابس بيتو

فاجتمع الخدم وبعض العملة لمشاهدة بيتو فسلم الفتى عليهم بهيئة خطيرة ولبث يفتش عن كاترين بنظره فلم يرَها فتنهد تنهدا خفيفاً

فاجلسته مدام بيلو على كرسي عندها في المطبخ واخذت تستقصه حوادث باريز وتساله عن بيلو زوجها وقداحاط به الجميع فحك بيتو راسه وقال قصتي طويلة يا مدام بيلو

فاذا قصصتها الآن اضطررت الى اعادتها على مسامع مدموازل كاترين

والحقيقة انه قال ذلك لكي ينادوا كاترين

فصاحت مدام بيلو اصبت يا بيتو اين كاترين نادوها · فذهب خادم ثم عاد وقال انه لم يجدها

وفي اثناء ذلك دنا بيتو من النافذة والقى نظرة الى غرفة كاترين في الطبقة الثانية فنظر منظراً جعله مبهوتاً · نظر كاترين جالسة في النافذة العليا وهي مستغرقة في تيار الافكار وموجهة نظرها باهتمام شديد الى جهات الحرش البعيد كانها تراقب شيئاً

فقال بيتو عند ذلك ـ هذه كاترين يامدام بيلو · فدنت مدام بيلو من النافذة ونظرت ثم صاحت باعلى صوتها · كاترين · كاترين

فاجفلت الابنة لمنظر امها واصوتها واسرعت الى اغلاق النافذة اسراع من يرى نفسه انه قد بوغت مباغتة · فصاحت بها حينئذ امها ـ انزلي يا كاترين فقد جاء بيتو من قبل والدك

فقالت كاترين انها نازلة فاخذ بيتو يتامل ويسأل نفسه ما الذي كانت تنظر اليه كاترين من شباك غرفتها بذلك الاهتمام · الا ان سروره بقرب لقائها وما يعرفه من فرحها بلقائه انسياه ذلك الشغل الوقتي فلبث ينتظر نزولها بقلب يتمشى في صدره تمشياً سريعاً

ثم نزلت كاترين ودخلت الى حيث كان بيتو · فاصبح بيتو وكله عيون تراها · فلم يجد في وجه هذه الفتاة الجميلة ما كان يؤمل ان يراه · نعم ان جمالها بقي كما كان بل زاد ولكن لم يبقَ في وجه كاترين شيءٌ من لوائح اللطف والبشاشة التي كانت قبلاً فضلاً عن ان بياض وجهها الجميل اصبح مشوباً بشيء من الاصفرار وان كان هذا الاصفرار قد زاده بهاءً وجمالاً

فاحس بيتو بلذع اليم في قلبه · لان كاترين لم تسرع اليه فتلاطفه وتبش في وجهه وتاخذ يده للتسليم عليه بل اكتفت بان نظرت اليه نظرة بادٍ فيها عدم الاكتراث وسالته كيف والدي يابيتو

فقالت لها امها ضاحكة انظري انظري ياكاترين ما اجمل خوذته وسيفه · فرفع بيتو راسه افتخاراً · اما كاترين فاجابت من غير اكتراث ايضاً وما فائدته من هذه الخوذة والسيف

فاجهزت كاترين بكلامها هذا على امل بيتو المسكين فصار يغص بريقه · ولكنه راى

في كلام كاترين اهانة له فاراد فتح باب للحديث ولو كان عنباً وملاماً فقال بعظمة وافتخار
— فائدتي من هذه الخوذة وهذا السيف انني احارب بهما اعداء الوطن

فنظرت اليه كاترين بهدوء دون ان تضحك او تعبس وسألته — ومن هم اعداء الوطن

فقال بيتو ان اعداء الوطن هم الاشراف الذين نذبحهم الآن في باريز

فارتعدت فرائص كاترين وسالته هل يقتل الشعب الآن الاشراف في باريز . كنت احسب ان الفريقين تصالحا وانقضى الخلاف

فقال بيتو وهو يظهر الحماسة — لا صلح ولا اتفاق فان الشعب يشقى والاشراف ينعمون لديهم الاموال والقصور والمركبات والشعب ليس لديه خبز يأكله بل هم الذين يجوعونه . فمن العدل ان يعاقبهم عقاباً شديداً

وقد قال بيتو هذا القول بصوت قوي فاصفرت كاترين ثم عبست وقالت له — ما كنتَ يابيتو خشناً الى هذا الحد قبل سفرك

فصعق بيتو وحار في ما ذا يقول لهذا التوبيخ الشديد وعلم ان كاترين لا تحب مثل هذه الحماسة فقال معتذراً بصوت ضعيف . لم اكن خشناً من قبل سفري ولا من بعده يامدموازل كاترين

فقالت مدام بيلو قاطعة حديثه قص علينا الآن اخبار بيلو زوجي . فقال بيتو . اما هذا فانه يستوجب ان ننفرد للكلام عنه على حدة لان الاب بيلو عهد اليَّ ان ابلغكما امراً مهماً . فاشارت مدام بيلو الى الحاضرين فتفرقوا ولم يبقَ في المكان الا الثلاثة — مدام بيلو و بيتو وكاترين . وكان بيتو يختلس النظر في كل برهة الى كاترين والذي سهف قلبه من الارتياح والوجد يزداد بزيادة تشاغل كاترين عنه

الفصل الخامس والعشرون

(الابنة مكان الام)

ولما اختلى بيو بالام وابنتها قص عليهما اعمال بيلو في باريز وكيف كان عازماً على الرجوع الى مزرعته فمنعه الدكتور جيلبار من ذلك ليبقى عونه وساعده . ثم اخبرهما ان بيلو راى ان يريح زوجته لطول غيابه من عناء ادارة المزرعة ويلقي زمامها الى ابنته كاترين لانها لشبابها ونشاطها اقدر على احتمال متاعب الاعمال . فساء ذلك مدام بيلو لاول وهلة ولكنها عادت فتاملت شيخوختها ونشاط ابنتها المقرون بقوتها ومعرفتها فصوبت راي زوجها